

الاستثمار في اللغة العربية

تأليف :

أ.د. حسين الزراعـــــــــي

د. عبد الحميد الحســـــامي

أ.د. آمنة بلعــــــــــــــلي

د. عبدالرحمن البارقـــــي

تحـريـر :

د. محمد أبو ملحــــــــــة





سلسلة (مباحث لغوية) :

يُصدِر مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية هذه السلسلة ضمن خطة عمل مقسمة إلى مراحل، تشمل مرحلتها الأولى ثلاثين عنوانا، لموضوعات علمية رأى المركز – بعد الدراسة – حاجة المكتبة اللغوية العربية إليها، أو إلى بدء النشاط البحثي فيها، ويهدف من وراء ذلك إلى تنشيط العمل في المجالات التي تُنَبِّه إليها هذه السلسلة، سواء أكان العمل علميا بحثيا، أم عمليا تنفيذيا، ويدعو المركز الباحثين كافة من أنحاء العالم إلى المساهمة في هذه السلسة.

وتودّ الأمانة العامة أن تشيد بجهد السادة المؤلفين، وجهد محرر الكتاب، على ما تفضلوا به من التزام علمي لا يستغرب من مثلهم.

والشكر والتقدير الوافر لمعالي وزير التعليم المشرف العام على المركز، الذي يحث على كل ما من شأنه تثبيت الهوية اللغوية العربية، وتمتينها، وفق رؤية استشرافية محققة لتوجيهات قيادتنا الحكيمة.

والدعوة موجّهة لجميع المختصين والمهتمين بتكثيف الجهود نحو الصعود بلغتنا العربية، وتحقيق وجودها السامي في مجالات الحياة.

المملكة العربية السعودية – الرياض

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية

هاتف : ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢ – ناسوخ ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٦٩

ص.ب : ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣

www.kaica.org.sa



مباحث لغوية ٣

الاستثمار
في اللغة العربية

تأليف

أ.د. حسين الزراعي
د. عبد الحميد الحسامي
أ.د.آمنة بلعلي
د. عبدالرحمن البارقي

تحرير

د. محمد أبو ملحة



مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية
King Abdullah Bin Abdulaziz Int'l Center for
The Arabic Language

ⓒ مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولى لخدمة اللغة العربية، ١٤٣٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الزراعي ، حسين
الاستثمار في اللغة العربية . / حسين الزراعي وآخرون. - الرياض ، ١٤٣٦هـ
١٣٦ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك :٨- ٠ ـ ٩٠٦٢٦ـ ٦٠٣ـ ٩٧٨
١- اللغة العربية ٢- الإستثمار أ.العنوان
ديوي ٤١٠ ١٤٣٦/٢١١٢

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

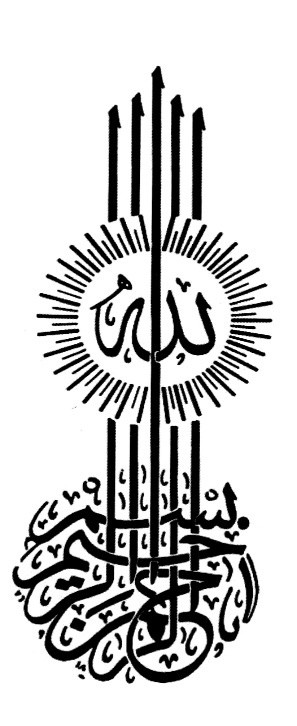
سلسلة من الإصدارات التي تعالج قضايا لغوية متنوعة

مدير المشروع :

أ. خالد بن أحمد الرفاعي

إشراف :

د.عبدالله بن صالح الوشمي



كلمة المركز

يجتهد مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية في العمل في مجالات متعددة تحقق تعميق الوعي اللغوي على المستويات المختلفة (الاجتماعية والعلمية/ الأهلية والرسمية)؛ وذلك للسمو باللغة العربية، وترسيخ منافستها للغات الحضارية في العالم، وتعميق قيادتها الدينية والتاريخية لشعوب شتى في أنحاء المعمورة.

وامتدادا لذلك. ينشط المركز في مجال النشر، مستقطباً الأعمال العلمية الجادة وفق لائحة معتمدة منظّمة لذلك، كما ينشط في مجال التأليف من خلال استكتاب مجموعة كبيرة من الباحثين؛ لتأليف عدد متنوع من الإصدارات النوعية المقروءة التي تعالج عنواناتٍيقتنصها المركز، ويلفت الانتباه إليها، ويعلن من خلالها الفرص الممكنة لخدمة اللغة العربية في المجالات المختلفة، ملبّياً بذلك الحاجات التي يلمس المركز تطلّع المكتبة اللغوية العربية إليها، ولافتاً الأنظار إلى أهمية التعمق فيها بحثياً، واستكشاف ما يمكن عمله تنفيذياً في هذه المجالات. ويسعد المركز بأن استقطب في المرحلة الأولى من هذا المشروع ما يربو على مئتي باحث، موسِّعاً دائرة المشاركة محلياً وخليجيا وعربيا وإسلاميا وعالميا، ومنوّعاً مسارات البحث الرئيسية والفرعية، ومنفتحا على كل ما من شأنه خدمة اللغة العربية بجميع الوسائل والأطر.

ويمثّل هذا الكتاب واحدا من الكتب التي صدرت ضمن سلسلة (مباحث لغوية) يحتوي عددا من الأبحاث لأساتذة مرموقين؛ استجابوا لما رآه المركز من الحاجة إلى التأليف تحت هذا العنوان، وبادروا إلى ذلك مشكورين.

وتـودّ الأمانـة العامـة أن تشيد بجهد السـادة المؤلفين، وجهد محـرر الكتاب، ومديـر هـذا المشروع العلمي علـى ما تفضلوا به مـن التزام علمـي لا يستغرب من مثلهـم، وقـد ترك المركـز للمحرر مساحة واسعـة من الحرية في اختيـار الباحثين ووضـع الخطة العلمية - بالتشـاور مع المركز -؛ سعيـاً إلى تحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه من الإفادة العلمية، مع الأخذ بالاعتبار أن الآراء الواردة في البحوث لا تمثل رأي المركـز بالضرورة، ولكنها من جملـة الآراء العلمية التي يسعد المركز بإتاحتها للمجتمـع العلمـي وللمعنيين بالشأن اللغـوي لتداول الرأي ، وتعميـق النظر، ونلفت انتبـاه القـارئ الكـريم إلى أن ترتيب أسمـاء المؤلفين على الغـلاف موافق لترتيب أبحاثهـم في الكتاب، وهي خاضعة للرؤية المنهجية التـي تفضّل المحرر - مشكورا- باقتراح خطتها.

والشكـر والتقديـر الوافـر لمعـالي وزيـر التعليم المشـرف العام علـى المركز، الـذي يحث على كل ما من شأنه تثبيت الهوية اللغويـة العربية، وتمتينها، وفق رؤية استشرافية محققة لتوجيهات قيادتنا الحكيمة، ويمتد الشكر لمعالي نائبه، وللسادة أعضاء مجلس الأمناء نظير الدعم والتسديد لأعمال المركز.

والدعـوة موجّهة لجميـع المختصين والمهتمـين بتكثيف الجهود نحـو النهوض بلغتنا العربية، وتحقيق وجودها السامي في مجالات الحياة.

المقدمة

إنها لغتنا العربية : هُويتنا، حضارتنا، شخصيتُنا، انتماؤنا، وقبل ذلك كله ديننا .

إنّ جلالة قدر هذا الموضوع وعِظَم شأنه أمرٌ يجب أن نستوعبه، ونؤمن به، ونستلهمه، ونتمثله.

كلُّنا مطالبون بهذا الواجب الديني والقومي والحضاري في زمن تفاوتت فيه الاهتمامات، وضُيّعت فيه الأولويات، وتخلّى فيه كثيرون عن هُوياتهم الحضارية التي تقوم اللغة ركنًا ركينًا من بنائها.

(كلُّنا) لا يُستثنى منها أحد أيًّا كان، مسؤولًا كبيرًا أم موظّفًا صغيرًا، عالمًا جليلًا أم عاميًّا خاملًا، عضوًا في دوائر صناعة القرار أم فردًا في دوائر التأثر بالقرار؛ وذلك لأنّا (كلَّنا) أهل هذه اللغة، وهي أهلنا؛ وهي بالنسبة إلينا شرط وجود.

وكون هذه اللغة شرطَ وجود، وركنًا من أركان الهُوية يستدعي أن نبذل في سبيلها الغاليَ والنفيس، ولا نستكثر عليها شيئًا نذخره دونها، ولكن ماذا لو كانت هذه اللغة –فوق كونها هُوية لناتمثّل بابًا واسعًا للاستثمار؟ ماذا لو كانت هذه اللغة مصدرًا غنيًّا من مصادر الدخل القومي؟

يشهد العالم اليوم تسليعًا لكلّ شيء! ويطغى الاقتصاد فيه على كلّ شيء! لقد أصبحت القوة الاقتصادية هي القوةَ العظمى، وصار المنطق الاقتصادي هو المنطقَ الأعلى.

مـن هنا، ومن هـذه الأبواب كلّها ندخـل في هذا الموضـوع، وبابه الرئيس وسؤاله الأكبر:

هـل يمكن أن نستثمر في اللغة العربية لنحقّق الهدف الأسمى وهو الإعلاء من شأنها، وردّ شيءٍ من مكانتها التي نافستها عليها لغات أخرى؟ ومن وراء ذلك نحقق منافـع أخـرى اقتصادية واستثمارية حتى يعلم من يجـب أن يعلم أنّ هذه اللغة بما منحهـا الله من خلود وعمق وأصالة تكتنز بـين جنباتها أسرار خلودها، وتقدر على أن تبقى، وتنافس، وتحضر، وتعلو، وترتقي.

يمكن لهذه اللغة –وهي أقدر على ذلك من كل اللغات الأخرى أن تُدِرَّ دخلًا كبيرًا على الدول والجهات التي تتبنّاها وتعمل على الاستثمار فيها، ولكن دونَ ذلك متطلّبات واستحقاقات يجب أن ينهض لها أبناء هذه اللغة والمنتمون إليها.

ويأتي هذا الكتاب للإجابة عن هذه التساؤلات، وبيان تلك الاستحقاقات، وتقـديم الـرؤى والمقترحـات التي يمكـن أن يُستضاء بهـا في ذلك السبيـل الطويل الجميـل، الشـاقّ الممتع. إنه سبيـل لا مناص لنا من التقدّم فيـه، وهو إذ نتقدّم فيه يَعِدُنـا بالنجـاح، ونجاحـه –لا شكّ– مضمون متـى ما تضافرت الجهـود، وتعاضدت الرؤى، ونهضت الهمم.

يقـدّم هذا الكتـاب شيئًا من تلك الـرؤى من خلال أربعة محـاور رئيسة، نهض بكلّ محور منها باحث أو باحثة:

الاستثمار في اللغـة العربية من خلال اقتصاديات اللغة. (أ.د. حسين بن علي الزراعي).

الاستثمـار في اللغة العربية من خلال تعليم العربيـة للناطقين بغيرها في دول الخليج العربي. (د. عبد الحميد سيف أحمد الحسامي).

الاستثمار في اللغة العربية من خلال التّرجمة. (د. آمنة بلعلي).

الاستثمار في اللغة العربية من خلال البرمجيات والتقنيات الحاسوبية. (د.عبدالرحمن حسن البارقي).

وقد تبنّى هذا الكتاب في الجملة تقديم رؤىً نظرية تعقبها مقترحات تطبيقية، مع الاستئناس بتجارب الأمم الأخرى التي نجحت في عولمة لغاتها –ومن ثَمّ قِيَمها والاستثمار في ذلك.

إنّ هذا الكتاب مشروعٌ جديرٌ بالنظر والمدارسة والتأمّل، ونرجو أن يضيف جديدًا، وأن يقدّم مفيدًا، وأن يستأنس به الباحثون والمعنيّون بهذه العربية ومستقبلها، بل ونطمح إلى أن يحظى بالقبول لدى صُنّاع القرار، وأولئك هم القادرون على جعل هذه الرؤى بالغةً مداها، ومحقّقةً أهدافها النبيلة، والله من وراء القصد .

المحرّر

د.محمد بن يحيى أبو ملحة

الاستثمار في اللغة العربية
من خلال اقتصاديات اللغة

أ.د. حسين بن علي الزراعي(*)
أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الملك خالد

(*) معهد الدوحة : معجم الدوحة التاريخي

مدخل :

نقرأ ونسمعُ كثيرًا عن موضوع "الاستثمار في اللغة" منذ وقتٍ ليس بالقصير، وهو موضوع مغرٍ ومثير لارتباطه بالاستثمار. ونجد أيضا موضوعاتٍ مشابهة تتعلق باقتصاد اللغة ومع شيء من التوسع ظهرت كتابات ومؤلفات عن السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي والنمو اللغوي.(١)

ولقد تكوّن لدى مؤسسات الدول الكبرى وعيٌ بأهمية استعمال اللغة في مشروعاتها التنموية، وهيأت للغاتها كافة الوسائل التي تدعم قراراتها بداية. فهناك تشريعات واضحة بخصوص عدد من اللغات التي تناقش في دورات منتظمة من انعقاد برلماناتها. ونسمع عن تخصيص موازنة ضخمة للغة ما للوفاء بكافة الفعاليات والأنشطة المتصلة باللغة.

فإذا كانت الممارسات التجارية تتم بلغة ما، وإذا كان الإعلام يمارس اللغة ذاتها، والسياسة تحتاج إلى لغة، والتعليم لا يتم إلا بلغة، والبنوك والتجارة وكافة المناشط الاقتصادية لا تقوم بدون لغة، فمن المعقول أن يرتبط بقاء الحضارات وتحولاتها بمقدار ما تتقدم فيه لغة هذه الحضارة أو تتأخر. إن إيرادات لغة مثل الإنجليزية أو الفرنسية تقدر بأرقام كبيرة تفوق إيرادات الموارد الأخرى.

إن موضوع الاستثمار بمفهومه العام يُقصدُ به تنمية موارد قطاع معين وتطويرها إلى أن تتحقق الأهداف والعوائد المرجوّة. والاستثمار لا يمكن أن يتم

---

(١) فمنها على سبيل التمثيل لا الحصر:

- جيمس. أ، طولي فسن، السياسة اللغوية وتعلم اللغة، ، ترجمة: محمد خطابي، مؤسسة الغني، المملكة المغربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- عبد الله البريدي، التخطيط اللغوي: تعريف نظري ونموذج تطبيقي، جامعة القصيم، الملتقى التنسيقي للجامعات والمؤسسات المعنية باللغة العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ٢٠١٣م.
- د. عطية سليمان، النمو اللغوي عند الطفل: دراسة تحليلية، مكتبة زهراء الشرق، ١٩٩٥م.

إلا في وسط يتوافر على كافة الشروط التي تغري المستثمر وتشجعه فما شروط الاستثمار في اللغة؟

لا شك أن الاستثمار في اللغة يتطلب الشروط ذاتها التي يتطلبها أي نوع آخر من الاستثمار وعلى رأسها توفير مستوى الأمان وتشجيع حكومة البلد المستَثمر فيها وغيرها من الشروط. وهذا الموضوع لم يعد اليوم جديدًا ولا يحتاج إلى استدلال على أهميته و على نجاح المستثمرين فيه، فاللغات الأخرى مثل الإنجليزية والفرنسية وغيرهما تحقق ما لا يُصدّق من نجاحات الاستثمار.

حقيقة إن موضوع الاستثمار في اللغة سواء أ كانت هذه اللغة هي لغة المستثمِر أم كانت لغة أخرى موضوعٌ ذو أبعاد على درجة كبيرة من الأهمية والعُمق، لارتباطه بقضايا أخرى مثل الهُوية والدين والتاريخ والجغرافيا والمجتمع والأناسة. يعني هذا الارتباط أو الترابط أن موضوع اللغة والاستثمار فيها يمكن أن يكون مدخلا لكل القضايا التي تمثل أبعادا إستراتيجية لأمة من الأمم.

مفهوم الاستثمار في اللغة :

الاستثمار في اللغة -بشكل مباشر لا يخرج عن مسألة الممارسات التجارية والمالية والاقتصادية التي تتخذ من اللغة موضوعًا لها. ويجوز لنا تحت هذا المفهوم الاقتصادي أن نتحدث عن ربح، وخسارة، وتنمية موارد، ومناقصات، وعروض، وغيرها من المفاهيم الاقتصادية. فأي تطوير للغة أو أية دراسة لها (على طريقة الدراسات العلمية للغة) لا يدخل بشكل مباشر في موضوع الاستثمار طالما وأنه لا يتصل بتحقيق العائدات المادية لهذه الدراسات. ونخلص من هذا بتعريف ميسّر لموضوع الاستثمار في اللغة نلخصه في أن "الاستثمار في اللغة نشاطٌ اقتصادي موضوعُه اللغة".

تاريخ الاستثمار اللغوي :

لقد ارتبطت اللغة العربية بالاقتصاد منذ وقت مبكر، فلقد استطاع التجار العرب أن ينشروا الإسلام واللغة العربية في آسيا وأفريقيا، على الرغم من أن حرفتهم الأساسية لم تكن تعليم الدين ولا اللغة العربية، فإن أهداف التجار العرب كانت تجارية في الأساس، وبرغم ذلك كانوا من ذوي الأخلاق الحسنة، والمعاملات الطيبة، مما أدى إلى اهتمام سكان البلاد التي ذهبوا إليها بأخلاقهم ودينهم ولغتهم، فضلاً عن ملاحظتهم لنجاح هؤلاء التجار الوافدين، فربط أهل البلدان بين النجاح في التجارة وبين الأخلاق والدين واللغة، وبمساعدة هؤلاء التجار العرب أخذ أهل تلك البلدان يبنون الكتاتيب، وينشؤون الخلاوي والمدارس لتعليم الدين الإسلامي واللغة العربية للأطفال . (١)

بداية الاستثمار في اللغات :

صحيحٌ أن مصطلح الاستثمار في اللغة مصطلح معاصر على وجه من الوجوه. بيد أن ظهور نشاطات لغوية لتحقيق أهداف اقتصادية كان مكرورًا ومعروفًا في تاريخ الحضارات القديمة والمعاصرة. وفي هذا العمل لا أفضل الابتعاد عن موضوع الاستثمار في اللغة بالمفهوم المعاصر؛ ولذا فإن موضوع الاستثمار في اللغة مصطلحًا ومفهومًا موضوع جديد على الأقل من وجهة نظر مؤسسية وحكومية.

توجد اليوم عدد من المنظمات الثقافية، وتباشر هذه المنظمات نشاطات متنوعة انطلاقا من اللغة. وعلى سبيل المثال، من المنظّمات التي تتضمن أنشطة تتعلق بشؤون اللغات: منظمة (اليونسكو) في باريس، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم

---

(١) البيان الختامي والتوصيات لندوة تطوير برامج إعداد معلمي اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، السودان، ٢٠٠٠م: ص ٢٣٧.

والثقافة أو (الإيسيسكو) [١]، وهي منظمة متخصصة تعمل في إطار منظمة التعاون الإسلامي، تعنى بميادين التربية والعلوم والثقافة والاتصال في البلدان الإسلامية، مقرها الرباط ، ومنظمة اليونسكو الفرانكفونية، ولقد قال (بطرس بطرس غالي) فى أول حوار له بعد تركه لموقعه أمينًا عامًّا للفرانكفونية فى جريدة العالم اليوم بتاريخ ٢٠٠٢/١/٣٠ إن هدف المنظمة هو توسيع قيمة الحوار والترابط ومواجهة الفكر واللغة الواحدة وهى الإنجليزية التي تسعى للهيمنة على العالم سياسيا واقتصاديا تحت شعار العولمة والعمل بفكرة التعددية الثقافية واللغوية، فالتعددية هدفها الحفاظ على تراث المجتمع الدولي والمنظمة تحاول إرساء مبدأ الاستثمار في دول الجنوب بدلا من تقديم المساعدات لها وتوضيح أن التعددية في العالم تماثل التعددية الحزبية على المستوى الوطني. ومنظمة الإيسيسكو للثقافة والعلوم وغيرها تعمل باستمرار على رسم سياسات لغوية لتحقيق أهداف اقتصادية وغير اقتصادية.[٢]

---

(١) جهود الإيسيسكو في خدمة اللغة العربية :
أعد الباحث ناصر بن علي إدريس، من المملكة العربية السعودية تحت إشراف الدكتور عبد الرحمن الأنصاري، أطروحة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه من قسم التربية بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة حول موضوع: (جهود المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في نشر التعليم الإسلامي واللغة العربية – دراسة تقويمية).
وهدفت الدراسة إلى استعراض جهود الإيسيسكو في مجال نشر التعليم الإسلامي واللغة العربية من خلال برامجها وأنشطتها المنفّذة في الدول الأعضاء والمجتمعات الإسلامية خارج العالم الإسلامي. كما أبرزت الدراسة رؤية الإيسيسكو المستقبلية في مجال نشر التعليم الإسلامي واللغة العربية، وأهدافها الرامية إلى تطوير هذين الحقلين في العالم الإسلامي، وتقديم الرؤى المقترحة لتطوير وتفعيل خطط الإيسيسكو وبرامجها وأنشطتها ذات الصلة بنشر التعليم الإسلامي واللّغة العربية.

(٢) جهود الأمم المتحدة في خدمة اللغة العربية:
أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم: (٣١٩٠)، الذي يقر بموجبه إدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل في الأمم المتحدة، وللأمم المتحدة يوم عالمي للغة العربية يُحتفل فيه باللغة العربية في ١٨ كانون الأول/ ديسمبر من كل سنة، وهو يوم اتخاذ قرارها أعلاه.
ومن الجدير بالذكر أن هذا القرار أثره خليجي بامتياز، فقد كانت المملكة العربية السعودية قد تقدمت بطلب واقتراح لجعل اللغة العربية لغة رسمية في الأمم المتحدة خلال انعقاد الدورة ١٩٠ للمجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو.

لماذا الاستثمار في اللغة ؟

يمكن الانطلاق من هذا التساؤل باعتبار أن الاستثمار وسيلة لتحقيق غايات وأهداف أخرى، ويمكن الانطلاق منه باعتبار الاستثمار غاية نتوصل إليها بوسائل مختلفة. والأمر جدلي ويحتمل الوجهين على النحو الذي يظهر في سؤال: "لماذا نستثمر في اللغة؟"، ونقيضه: "لماذا لا نستثمر في اللغة؟". ولأن العلاقة متبادلة بين الوسيلة والهدف إلى الحد الذي يصلح فيه الهدف أن يكون وسيلة وتصلح الوسيلة أن تكون هدفا فإننا لن نعتني هنا بالجوانب التي يكون فيها الاستثمار وسيلة أو غاية.

ويصح بالنظر إلى العلاقة الجدلية بين الوسيلة والغاية أو الهدف أن نذكر بأن الأهداف العميقة لحضاراتنا المتصلة بترسيخ أبعاد الهوية والدين وتحقيق الحضور الذاتي والاجتماعي والقومي على أعلى مستوى لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال الوعي بأهمية التنمية الاقتصادية وتنموية الموارد التي ستغذّي الأبعاد المذكورة وأهمها الموارد اللغوية.

وإذا نظرنا للمسألة من زاوية اقتصادية محضة فإننا لا نبالغ إذا قلنا بأن الموارد اللغوية لا تقلّ عن الموارد المادية الكبرى كموارد النفط والغاز والثروة الحيوانية وغيرها خاصة إذا كان الأمر يتعلق بلغة كاللغة العربية.

من يحتاج إلى اللغة العربية ولماذا الاستثمار فيها ؟

تعدّ اللغة العربية واحدة من اللغات العالمية المعترف بها في تصنيف الأمم المتحدة فهي اللغة السادسة في التصنيف المكتوب، وهناك اعتقاد كبير بين متابعي التصنيفات أن اللغة العربية فعليًّا هي الرابعة بعد تراجع عدد من اللغات. ومن مقومات عالمية هذه اللغة كونها لغة لنصف مليار نسمة تقريبًا.

تشـير تقديرات الأمم المتحدة إلى أن المتحدثـين اليوم باللغة العربية يبلغ عددهم أكثر من ٤٢٢ مليون نسمة حول العالم. وتتوقع الإحصاءات أن يتحدث بها عام ٢٠٥٠ نحو ٦٤٧ مليون نسمة كلغة أولى، وهذا الرقم يشكل نسبــة قدرها ٦،٩٤٪ من عدد سكان العالم في ذلـك الوقت الذي يتوقع له أن يبلــغ ٩،٣ بليون نسمة بحسب البرنامج غير الربحي لنشر اللغة العربية في العــالم "العربيــة للجميع. ويحتاج إلى الاستثمار في هذه اللغة عدد كبير مــن ســكان العالم لتحقيــق أهداف مختلفــة. فالإقبال على تعلـم العربية ودراستهــا كان ماديًّــا واقتصاديًّا بالنسبة للصين وبعضـ دول شرق آسيا وأوروبــا باعتبارها لغة أكبر فئة من مستهلكي الســوق العالمية، وكان دينيًّا بالنسبة لبعض دول شرق آسيا وقارة أفريقيا وأوروبا .

لماذا عدم الاستثمار فيها ؟

مــن الغريب فعــلاً أن موضــوع الاستثمــار في اللغة العربيــة لم يحظَ بالتشجيــع الكافي بين المستثمرين ولم يجد الدعم الحكومي والمؤسسي من حكومــات الدول النــاطقــة بالعربية على الرغم من وعيهــم بالمنافع المادية الكبــيرة التي ستأتي من باب الاستثمار في اللغــة العربية، ولعلّ أهم سبب يقــف وراء عرقلة مشاريــع التنمية في اللغة العربيــة كان سياسيًّا بالدرجة الأولى وبدرجة ثانية كان سببًا يتعلق بسوء التخطيط وانعدام الوعي بنجاح مشروعات اللغة العربية .

هل هناك مخاوف من انقراض هذه اللغة ؟

لا أعتقــد أن من بين أسبــاب التراخي في الاستثمار اللغــوي شعور المستثمرين بــأن اللغة العربية لغة غير مستقرة وأنها لن تستمر؛ فالشائع أنها لغة لم تتوقف عن التطــور والعطــاء، وهي اللغة الوحيدة التي لم تتعرض لتوقــف أو انسلاخ أو انشقاق علــى الرغم مــن عمرها الطويل. ويشيع بــين دارسي اللغة العربيــة من غير العرب

أنهـا لغة مرتبطة بكتاب سماوي عظيم هو القرآن الكريم الذي تعهده الله بالرعاية والحفظ.[١]

لكن المخاوف لم تكن حاضرة في أذهان المستثمرين من هذه الزاوية وإنما من زوايا أخـرى ذات صلة وطيدة بالبعد السياسي الذي قد لا يدعم مشروعات تنموية متصلـة باللغـة العربية بل قد يحاربهـا بشكل مباشر ويوقف كافـة النشاطات التي تصبّ في هذا الاتجاه كما تفعل حكومات الدول العربية نفسها .

مدى تأثير لغات أخرى على الاستثمار في العربية :

نستطيـع القـول إن النشاطات التنمويـة المتعلقة بالاستثمـار في اللغة العربية قد تأثرت إلى حد كبير بتقديم اللغة الإنجليزية والفرنسية وغيرهما بديلاً عن اللغة العربية، فالدول العربية تشجع التعليم باللغة الإنجليزية في معظـم الاختصاصـات، وتدفع أبناءها دفعًا لتعلّم هـذه اللغات، إلى جانب أنّ فرص التوظيف في الدوائر الحكومية والخاصة لا تشترط اللغة العربية في مؤهلات المتقدمين وإنما تشترط لغة أجنبية، وهذا يعدّ من أكبر عوامل محاربة اللغة العربية بحثًا ودراسةً واستثمارًا .[٢]

---

(١) فيلاحـظ هـذا الواقع المستشـرق الألماني بروكلمان حيـث يقول: ((بفضـل القرآن بلغت العربيـة من الاتسـاع مدى لا تكاد تعرفه أية لغة من لغات الدنيا. والمسلمون جميعا يؤمنون بـأن العربيـة هي وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملـوه في صلواتهم، وبهذا اكتسبت العربية منذ زمان طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى)).

(٢) ومع كل ذلك فتبقى اللغة العربية هي اللغة الأغنى والأكثر ثراءً، وما دمنا نتحدث عن الاستثمار فـإن موضوع الغنى اللغوي للعربية مهـم جداً، لاسيما إذا نقلنا قولاً للمستشرق الألماني فرنباغ مـا نصّـه: ((ليست لغة العرب أغنـى لغات العالم فحسب، بل إن الذيـن نبغوا في التأليف بها لا يـكاد يأتـي عليهم العدّ، وإن اختلافنا عنهم في الزمـان والسجايا والأخلاق أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألفوه حجاباً لا يتبيّن ما وراءه إلاّ بصعوبة)).
الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، ص ٣٠٣.

مناشط الاستثمار في اللغة العربية :

إن مناشط الاستثمار في اللغة العربية ليس لها حصر؛ فهي لغة معطاءة، وذات موارد عملاقة. وعدد كبير من القطاعات يحتاج إلى الاستثمار فيها وبها. فهناك قطاع التعليم، والتدريس للناطقين بغير العربية، وقطاع الحوسبة، ولغات الحواسيب، وتصميم البرامج الإلكترونية، فضلا عن قطاعات الترجمة، والنشر، وقطاعات الإعلام، ووسائل الاتصالات، وغيرها. ويمكن أن نتابع بعض الشركات المطوّرة لبرامج إلكترونية عربية كبرنامج (وندوز) عربي، و(مايكروسوفت) عربي، وغيرها لنتعرف على حجم عائدات هذه الشركات من تطوير البرامج العربية وحدها.[1]

الاستثمار المحلي :

نعني بالاستثمار المحلي الاستثمار الذي يتم داخل الدول العربية، ويبدأ من تشجيع حكومات الدول العربية والمنظمات الثقافية العربية على تطوير التعليم باللغة العربية الأساسي والعالي، وتشجيع الباحثين على إعداد بحوث بهذه اللغة في مختلف مناحي المعرفة، والاقتصاد، والسياسة، والمجتمع، وغيرها؛ للإفادة منهم في الشركات الحكومية والخاصة، وفي البنوك، والقضاء، لمراجعة الوثائق الصادرة عن المؤسسات مراجعة لغوية وهذا يتطلب جيشًا من اللغويين في كلّ بلد عربي مما سيترتب عليه تخفيف الضغط على الحكومات والحدّ من انتشار البطالة ناهيك عن تعميق أبعاد الهوية والمواطنة والاعتداد باللغة وغيرها. وتستطيع الدول العربية أن تنافس في مجال التعليم الخاص بإدماج مقررات العربية في المدارس الأجنبية مما يتيح حضور مدرس اللغة العربية في عدد كبير منها.

---

(١) وقد صدق الشاعر حينما وصف قدرة اللغة العربية على استيعاب المصطلحات العلمية والمعرفية التي وضعها البشر، بعد أن وسعت كلام رب البشر، فقال:

وسِعتُ كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات

حافظ إبراهيم الديوان: ١/ ٢٥٣.

هناك استثمار مماثل أيضا في قطاع الإعلام المحلي المقروء والمرئي والمسموع؛ فالدول تستطيع بناء مراكز لتأهيل إعلاميين تأهيلاً نوعيًّا باللغة العربية بأداء مادي يمكّن هذه المؤسسات من الاستمرار في تطوير البرامج اللغوية المميّزة التي تحسّن من أداء الإعلاميين. ويمكن أن نتحدث أيضًا عن دور القضاء والمؤسسات القضائية في تشجيع المحاماة، والمقاضاة، وصياغة قرارات الأحكام، ومراجعتها باللغة العربية مما يسوّغ لبعض المهتمين تأسيس مراكز بحثية لتطوير لغة القضاء بجميع فروعها، ومثل هذا يصحّ في مجال الإرشاد والوعظ الديني، وفي مجال البحث العلمي وغيرها.

وممّا يجدر ذكره في مجال الاستثمار المحلي إنشاء مراكز لغوية لتأهيل العاملين القادمين من شرق آسيا وغيرها، ويعدّ هذا شرطًا من شروط العمل خصوصًا في دول الخليج العربي، وسيكون لهذا الإجراء تحسّن اقتصادي كبير على مستوى العوائد، وعلى مستوى التوظيف وتخفيف مستويات البطالة، إلى جانب مسألة إعادة الثقة باللغة العربية وبقيمتها الإنسانية والمعرفية والحضارية.(١)

الاستثمار الخارجي :

في مجال الاستثمار الخارجي نتحدث عن فرص كبيرة لتحقيق مردود قومي واقتصادي. فلو أخذنا الصين أنموذجًا للاستثمار في اللغة العربية في منظور المستقبل القريب أو البعيد. فمن المعلوم أن الصين دولة صناعية عظمى ويمثل السوق العربي نسبة استهلاك كبيرة للمنتجات الصينية تفوق ثلثي ما يستهلك في أسواق غير عربية.

---

(١) فلا يغيب عن فَطِن أن العوامل الاقتصادية في هذا العصر العولمي تتحكم في نواحي الحياة المعاصرة كلها: السياسية والاجتماعية والاقتصادية واللغوية.. معلومات وافية عن علاقة اللغة بالاقتصاد في كتاب فلوريا نكولماس: "اللغة والاقتصاد"، د. وليد العناتيّ، جامعة البتراء، الأردن.

ومن هذا الباب يبحث المستثمر الصيني والشركات الصينية عن فرص لمعرفة اللغة العربية وتعلمها لأنها مدخـل نفسي وسيميائي ومعرفي لإنتاج الصناعات التي تشجـع العربـي على استهلاكهـا، ومن هنا نجزم بـأن دعم مراكـز لتعليم العربية للصينيـين في الصـين سيكون أمرًا هامًّـا على عدة مستويات. ولنـا أن نتخيّل قيمة الفوائد التي ستتحقق من وراء تأسيس ١٠٠٠ مركز في الصين لتعليم اللغة العربية، على مستوى أعداد المدرسين العرب الذين نحتاجهم لتغطية احتياجات هذا المراكز، وعلى مستوى العوائد المادية. وعندئذ سنعاني من مسألة توفير المدرس (بأجر جيد ومشجع) بدلاً من معاناتنا من مسألة بطالته وتوفير وظيفة له.

ولنقس على موضوع الاستثمار في الصين الاستثمـار اللغوي في بلدان وقارات أخـرى مثل: الهنـد، وروسيا، وأوروبـا، وأمريكا. ويلـزم عن هذا كلـه أن سفاراتنا وملاحقنا الثقافية سوف يكون لديها جدول أعمال مكتظ على مستوى اليوم الواحد.

واللغـة العربيـة لديهـا منافـذ استثماريـة خارجية عديـدة، من خـلال العوامل الاقتصاديـة التـي نشـأت بعد اكتشاف النفـط في العالم العربي، ومـا ترتب على ذلك مـن تهافت الشركات والـدول الأجنبية على الاستثمار في قطـاع النفط، وما يرتبط به مـن الخدمات والصناعات الضرورية. فإذا نظرت إلى دول الخليج العربي وجدت أنها تحولت إلى مجتمعات متعددة اللغات، فيها العربية، والإنجليزية، والهندية، والفرنسية، والسريلانكيـة، وغيرهـا من لغات الوافدين للعمل في هذه الـدول، ولعلّ أعجب ما تراه العين أن يتحدث إليك الهندي في (دبي) بغضب شديد لأنك لا تفهم لغته الهندية!

كمـا لم تستثمـر البلـدان العربيـة علاقاتهـا التجارية مـع الـدول الإسلامية المتقدمـة كماليزيـا، والباكستان، وإندونيسيـا، وإيران لنشر العربيـة وترقيتها إلى مصـاف اللغات العالمية،. ومهمـا يكن من أمر فإن الفرصة ما تزال قائمة لاستثمار مثـل هذه الظروف. وهذه تدابير مقترحة تسهـم في تدعيم منزلة العربية وترقيتها عالميًّا من الوجهة الاقتصادية:

- اشتراط إتقان قدرٍ مناسب من اللغة العربية للعمالة الوافدة إلى البلدان العربية.
- افتتاح مراكز ثقافية في السفارات العربية تقدّم دورات تعليمية باللغة العربية للخبراء والمتخصصين الراغبين في العمل في الوطن العربي مدفوعة الأجر.

- اشتراط ترجمة كلّ ما يكتب على البضائع المستوردة إلى اللغة العربية، وعدُّ هذا المطلب شرطًا للتعامل التجاري مع الشركات والدول المصدرة. ولا أحسب أن دولة أو شركة ترفض هذا الطلب وتفرِّط باستثمارات ضخمة مقابل مطلب صغير لا يكلف مبالغ ضئيلة .[١]

حلول مشكلات البطالة :

تتطلب مشاريع الاستثمار في اللغة جيشًا من العاملين والعاملات يفوق أرقام العاطلين عن العمل في العالم العربي، والعاطلين من العرب المغتربين في الدول الأجنبية. ومن خلال متابعة ما تقوم به مراكز تعليم اللغة الإنجليزية نرى بوضوح أنّ دخل هذه المراكز من رسوم المستفيدين يقدر بملايين الدولارات، بالإضافة إلى أن أعداد الموظفين الناطقين باللغة الإنجليزية المسخّرين للعمل في هذه المراكز يمثلون رقما كبيرا جدًّا من مجموع الموظفين في القطاعات الخاصة الأخرى .[٢]

---

(١) ولعلنا نقتدي هنا باليابان التي تقدم دورات مجانية باللغة اليابانية لكثير من الدول العربية، تعزيزاً للروابط الاقتصادية، ورغبة في دخول الأسواق العربية والمنافسة فيها.
مستقبل اللغة العربية في ظل العولمة، د. وليد العناتيّ، جامعة البتراء، الأردن.

(٢) وقد طرح الكاتب عبده خال أفكاراً لامتصاص البطالة، وذكر على سبيل المثال خريجي اللغة العربية، فقال: ((ولو أردنا أخذ عينة من هؤلاء الخريجين المقذوفين في قوائم الانتظار لعدم توافر عمل يتناسب مع شهاداتهم العلمية كخريجي اللغة العربية ونتخذ من هؤلاء نموذجا لخلق وظائف خارج ما نفكر به.. نعلم جميعا أن كثيرا من الدول الأوروبية حين يتم طلب إقامة يشترط على المتقدم إجادة لغة تلك البلد من خلال التسجيل في معاهد لتعليم اللغة ويقوم المتقدم لطلب الإقامة بإثبات أنه سجل في أحد معاهد تلك البلاد.. هذا الإجراء المتخذ من قبل الدول الأخرى يمكن تطبيقه في بلادنا وتصوروا لو تم اشتراط هذا الشرط لطالبي الإقامة (ممن لا يجيد العربية) ما المكاسب التي سوف تجني؟ أولها استقطاب خريجي اللغة العربية لتدريس المتقدمين لتعلم اللغة العربية ثم فرص الاستثمار التي يمكن لها أن تنشأ من فتح معاهد تعليم اللغة ثم ما نجنيه من تمرير أنظمتنا وعاداتنا وتقاليدنا من خلال التعليم)).
صحيفة عكاظ، العدد : (٤٨٠٥)، ١٧/١٠/١٤٣٥هـ الموافق: ١٣/٠٨/٢٠١٤م.

تعزيز الهوية والانتماء :

إذا افترضنا أن السياسة اللغوية العربية ستقدّم نفسها بقوة خلال المراحل المقبلة بحيث تتحول إلى كتلة من النشاطات اللغوية في مختلف أنحاء العالم فسوف نجد أننا أمام فرص كبيرة لاستعادة الثقة في لغتنا وهويتنا، وسوف تتغير كثير من أفكارنا السلبية عن لغتنا وحضارتنا بما يعزّز مكانتنا، ويعين على إعادة تموضعنا وسط شعوب العالم. فاللغة العربية -مع الأسفتعرضت إلى هزة قوية وحملات تشويه وتراخٍ عن الاهتمام بها أضرّ كثيرًا بقيم الهُوية الحضارية والشعور بالانتماء.

حروب اللغات :

هناك عدد من لغات العالم منها الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية، وغيرها كانت منذ وقت مبكر على وعي كبير بمسألة اللغة وأهميتها في تحقيق أهداف وجودية ومصيرية. لذلك راهنت على حروب لغوية كان لا بد فيها من تحقيق انتصارات على الميدان لا تقلّ أهمية عن الانتصارات العسكرية. فالإسبانية على سبيل المثال غزت قارة أمريكا الجنوبية وتسببت في إلحاق أضرار بالغة بلغات السكان المحليين ولهجاتهم. واليوم لا صوت يعلو على صوت الإسبانية في قارة أمريكا الجنوبية، وإذا ما تساءلنا: ما مردود هذا الاكتساح على إسبانيا؟ وما مردوده على دول أمريكا اللاتينية؟ سنجد أنّ إسبانيا من ناحية عمّقت كافة أبعاد الهوية والقومية الإسبانية، ومن ناحية ثانية عمقت الوعي بأهمية مشروعاتها اللغوية التي تتدفق من خلالها أموال طائلة. وبالنسبة إلى السكان الأصليين لدول أمريكا اللاتينية فإنهم قد خسروا تماما الرهان على مشروعات اللغة بوصفها مشروعات لتغذية قيم الانتماء والمواطنة ناهيك عن خسارات مادية لا تخدم إلا لغة المستعمِر.[1]

---

(١) فلقد انعقد الإجماع بين معظم اللغويين والتربويين على أنّ اللغة والثقافة وجهان لعملة واحدة، وأنّ تأثير الثقافة الإسلامية في نفوس الأجيال مرهون بحسن تعلم العربية من خلالها.
تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: النظرية والتطبيق: ص ٢٦٩.
ويمكن لنا أن نبين أوجه حرب اللغات وميادينها من ثلاث زوايا، وهي: =

الاستثمار لأسباب دينية :

هناك اختلاف في الأهداف التي تظهر من وراء مسألة الاستثمار في اللغة، فالاستثمار قد يكون للاستثمار وقد يكون لأهداف أخرى أهمها البعد الديني. بالنسبة إلى فرنسا كانت لها أهداف مختلفة من وراء الاستثمار في اللغة بحسب مناطق الاستعمار؛ فهدفها من التوسّع اللغوي في أفريقيا هدف ديني أساسًا لنشر المسيحية و(التبشير). ولذلك فإن المنظمات الفرنكفونية تدعم برامج تعليم اللغة الفرنسية في قارة أفريقيا، ويساندها اللغة الإنجليزية التي تلتقي مع الفرنسية في الهدف ذاته. وقد كان للغة العربية دور مماثل من وراء التوغّل في قارة أفريقيا بغرض نشر الإسلام وتعاليمه بين الأفارقة.(١)

الاستثمار لأسباب اقتصادية :

حينما نجد نشاطًا لغويًّا في الصين أو العالم العربي ففي الغالب لا تقف وراء هذا النشاط أسباب دينية فقط وإنما نجد الأسباب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية حاضرة أيضا.

اتجه بعض الناطقين بغير العربية لدراسة اللغة العربية لأغراض تجارية. واللغة العربية لأغراض تجارية أصبح لها مقرر خاص في معاهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، ولها مساقات محددة، وبرامج معينة، وألفت فيها مناهج وكتب.

= ١-الغزو اللغوي بالقوة الجبرية والاحتلالات العسكرية.

٢-الغزو اللغوي الناجم عن الثقل الحضاري والنفوذ الديني.

٣-الغزو اللغوي عبر الوسائل التكنولوجية.

حرب اللغات، عبد المنعم عبد العظيم، الحوار المتمدن، العدد: (٣٢٢٣) في: ٢٠١٠/١٢/٢٢م.

(١) وذلك لأن مادة الدعوة الإسلامية باللغة العربية التي تتطلب فهم الثقافة الإسلامية يعين الطالب على مناقشة المحتوى الثقافي مع المتعلمين وحسن تفسيره لهم، خاصة ونحن نعرف أن معظم الدارسين للعربية من غير الناطقين بها إنما أرادوا الولوج من بابها إلى دراسة وفهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف خاصة، والثقافة الإسلامية عامة.
تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: النظرية والتطبيق: ص ٢٦٩.

وهــذا النوع مــن التعليم اللغوي تتميز بــه وتنفرد الدول ذات النشــاط التجاري مع الــدول العربية، وكذلك الــدول العربية ذات العلاقات التجاريــة مع الدول الناطقة بغــير العربية، فتعلم اللغــة العربية لأغراض تجارية من الممكن جداً أن نعدّه مؤشرًا اقتصاديًّــا لحالة مــا. ويشترك في هذا النوع مــن التعليم رجــال الأعمال وسيدات الأعمــال كذلــك، والــكادر الوظيفي في الشــركات والمؤسســات والمصانع الحكومية والأهلية على حد سواء.[1]

الاستثمار لأسباب أخرى :

قد تتــاح للمستثمــر في اللغة فرصــ للاستثمار بغرضــ الاستثمــار ذاته؛ فهو استثمــار للاستثمــار بغضــ النظر عن الأبعــاد الأخــرى التي قد يصــبّ فيها هذا الاستثمــار. ولذا نجــد عربيًّا مسلمًا يستثمــر في الإنجليزية أو مراكــز لتعليم اللغة العربيــة أو الصينية بــإدارة ألمانية أو إنجليزية. وهــذه المشروعات في الغالب تكون حياديــة تشبه إلى درجة كبيرة بعض مشروعــات شركة (مكروسوفت) للبرمجيات التــي تصــدر صيغًــا إلكترونية بلغــات مختلفة بهــدف الربح المــادي ضاربة عرض الحائط بالأبعاد الأخرى الإيديولوجية أو السياسية.

وقــد أثبتت المؤشرات الاقتصادية نجــاح الاستثمار في مشروعات معاهد اللغة الإنجليزيــة في البلاد العربية؛ فلمــاذا لا يتحول هذا النجاح في تجارب أخرى تتجه نحــو معاهــد اللغة العربيــة في البلاد الأجنبيــة؟ وقد ذكر مستثمــرون في قطاعات تعليميــة بالســوق السعودي: ((إنّ معــدلات الاستثمار بمعاهد اللغــة الإنجليزية في المملكة ارتفعت بنسب عالية ونمو كبير)).[2]

(١) أحمــد كسار، اللغة العربيــة لأغراض تجارية ، مجلة الاستثمارية، العدد: (١٠)، ماليزيا، ٢٠١٢م، ص ١٧.

(٢) صحيفة "اليوم"، العدد:(١٤٨١١)، الخميس، الموافق ٢ يناير ٢٠١٤م.

دور التقنيات الحديثة في تعزيز الاستثمار :

تصبح كل القضايا المطروحة على جدول أعمال الاستثمار في اللغة متاحة بأيسر السبل إذا ما كانت التقنيات الحديثة هي الوسيلة الفاعلة في هذا الاستثمار: فهناك التعلم عن بعد، واجتياز الامتحانات اللغوية، واستكمال إجراءات الاستقدام للدول، كلّها تتمّ عبر وسائط تقنية وبكلفة أعلى. ويتعلق الأمر أيضًا بتوفير برامج دراسية، ومقررات، ومدرسين، تُهيّأ لهم فرص التعلم عن بعد واجتياز العوائق التي تنتج من السفر المباشر والتنقل بين البلدان.

ولدينا خليجيًّا تجربة رائدة في هذا المجال، وهي تجربة معهد قطر لبحوث الحوسبة الذي قام بتعزيز مكانة اللغة العربية في عصر المعلومات عبر إجراء بحوث في تقنيات اللغة العربية؛ لأنّ الحرص على ازدهار اللغة العربية في العالم الرقمي هو من أولويات أعماله. ويسعى معهد قطر لبحوث الحوسبة ليصبح الرائد في تقنيات اللغة العربية في المنطقة والعالم، وذلك في مجالات البحث، واسترجاع المعلومات، والتحليل، ومعالجة اللغات المتعددة، والترجمة الآلية المتقدمة، كما يبذل جهداً لزيادة المحتوى العربي على الإنترنت وإغنائه.[١]

الإعلام ومواقع التواصل :

تتوافر اللغة العربية على إمكانات إعلامية جبارة، وقنوات، وفضائيات تذيع باللغة العربية تجاوزت الألف قناة، بالإضافة إلى عدد الصحف التي تصدر باللغة العربية. ضُمّ إلى ذلك التخاطب باللغة العربية على المواقع الإلكترونية. وقد جاء في كتاب (السياسة اللغوية في البلاد العربية) أنّ عدد مستعملي العربية على المواقع الإلكترونية قد ارتفع من ألفي مستعمل عام ٢٠٠٠ إلى ستين ألف مستعمل عام ٢٠١٠. وكل هذه الأرقام تعد بمثابة أدوات تحفز على الاستثمار في اللغة العربية وتضغط على الحكومات لدعم مشروعات الاستثمار.[٢]

---

(١) موقع المعهد : http://qcri.fuegodigital.com/home-ar

(٢) عبد القادر الفاسي الفهري، السياسة اللغوية في البلاد العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

معوقات الاستثمار في اللغة العربية :

تعاني اللغة العربية من معوقات كبيرة وتحديات خطيرة معظمها تحديات موجهة ضد اللغة العربية من أبنائها أولًا، ثم من السياسات الدولية المتّخذة ضدّها. فمن بين هذه التحديات غياب تشجيع الحكومات على تعلم اللغة العربية، وفي الغالب يكون التشجيع بسرعة استيعاب خبراء اللغة ومدرسيها في سوق العمل لتشجيع الطلاب على الالتحاق بأقسام اللغة العربية في الجامعات، لكنه حصل العكس، فقد اشتد وزراء التعليم العالي العرب وضيقوا على الأقسام المستقبلة للمتقدمين لدراسة اللغة العربية، بل وفرضوا على الطلاب فرضًا تعلّم اللغة الإنجليزية، وأصدروا قرارًا جماعيًّا بعدم استيعاب الطلاب في برامج الدراسات العليا إلا إذا حصلوا على درجة امتحان (التوفل) الإنجليزي.

ونجد الشركات والمؤسسات الحكومية والخاصة تعنى باستيعاب المتقدمين لشغل الوظيفة ممن يحسنون اللغة الإنجليزية، وتنعدم في المقابل أية فرص تشترط إتقان اللغة العربية.

من ناحية أخرى فرض العالم قيودًا على ممارسة أنشطة اللغة العربية بوصفها لغة دينية وليس لغة حضارة، واستعمل الإعلام لترويج كلّ أنواع الإحباط اللغوي.

وهناك مؤشرات كثيرة في وقتنا الراهن باتت تشير إلى ضعف نفوذ اللغة العربية وتراجعه أمام التفوق الكبير الذي فرضته اللغة الإنجليزية في الحوزة على المحتوى الإلكتروني لمصادر المعلومات بشقّيها العامّ والأكاديمي. ضمن هذه المؤشرات تأتي هيمنة اللغة الإنجليزية واكتساحها القوي والسريع لصناعة المعلومات وتدفقها في محيط الكرة الأرضية العامل الأول والأهم في إعاقة تقدم اللغة العربية ومحافظتها على دورها الراسخ بوصفها لغة علمية وأكاديمية. مثل هذا الأمر يدفع الباحثين والأكاديميين العرب إلى البحث والكتابة والنشر باللغة الإنجليزية الأمر الذي ساعد على توسيع الفجوة الرقمية اللغوية بين العالم العربي والغربي . [1]

---

(١) علي بن سيف العوفي؛ أ. نبهان بن حارث الحراصي الفجوة الرقمية اللغوية: دراسة العوامل المؤدية إلى إخفاق الباحثين والأكاديميين العرب في تعزيز الأرصدة المعلوماتية الإلكترونية، ، مجلة دراسات المعلومات، العدد: (٨)، جمادى الأولى، ١٤٣١هـ الموافق مايو، ٢٠١٠م، ص ١.

خاتمة :

في ختـام هذه الورقة أؤكد بكلّ مصداقية وشفافيـة أنّ الموضوع لا يخفى على مصـادر القرار، لا من حيـث أهمية الاستثمار فيه أو مـردوده المادي، ولا من حيث الأضرار التي تلحق بهُوية هذه الأمة.

إنّ التغاضـيَ عمّا يحدث للغـة العربية اليوم وغضّ الطـرف عن كلّ ما يحاك ضدّهـا، لا يمكـن أن يفسّـر إلا بدرجـة حالـة الضعـف والتفكك التي تعـاني منها مجتمعاتنا العربية .

المراجع

١. البريـدي، عبـد الله، التخطيـط اللغوي: تعريـف نظري ونمـوذج تطبيقي، جامعـة القصيـم، الملتقـى التنسيقي للجامعـات والمؤسسـات المعنية باللغة العربية، مركـز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ٢٠١٣م.

٢. سليمـان، عطية، النمو اللغـوي عند الطفل: دراسة تحليليـة، مكتبة زهراء الشرق، ١٩٩٥م.

٣. جيمس. السياسة اللغوية وتعلم اللغة، طولي فسن، ترجمة: محمد خطابي، مؤسسة الغني، المملكة المغربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٤. حافظ إبراهيم الديوان: ١/ ٢٥٣

٥. عبـد العظيم، عبـد المنعم حرب اللغات، ،الحوار المتمـدن، العدد: (٣٢٢٣) في: ٢٢/١٢/٢٠١٠م.

٦. علي بن سيف العوفي؛ أ. نبهان بن حارث الحراصي الفجوة الرقمية اللغوية: دراسـة العوامـل المؤدية إلى إخفاق الباحثـين والأكاديميين العرب في تعزيز الأرصـدة المعلوماتية الإلكترونية، ، مجلة دراسـات المعلومات،العدد: (٨)، جمادى الأولى، ١٤٣١هـ الموافق مايو، ٢٠١٠م، ص ١.

٧. العناتيّ، وليد، مستقبل اللغة العربية في ظل العولمة، جامعة البتراء، الأردن.

٨. كسـار، أحمـد ، اللغة العربية لأغراض تجارية ، مجلـة الاستثمارية، العدد: (١٠)، ماليزيا، ٢٠١٢م، ص ١٧.

٩. الفاسي الفهري، عبد القادر، السياسة اللغوية في البلاد العربية، ، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

١٠. كولماس فلوريان: "اللغة والاقتصاد"، د. وليد العناتيّ، جامعة البتراء، الأردن.

١١. مدكور علي أحمد، و هريدي، إيمان: تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: النظرية والتطبيق. دار الفكر العربي: ص ٢٦٩.

١٢. صحيفة "اليوم"، العدد:(١٤٨١١)، الخميس،الموافق ٢ يناير ٢٠١٤م.

١٣. البيان الختامي والتوصيات لندوة تطوير برامج إعداد معلمي اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، السودان، ٢٠٠٠م.

١٤. صحيفة عكاظ، العدد : (٤٨٠٥)، ١٤٣٥/١٠/١٧هـ الموافق: ٢٠١٤/٠٨/١٣م.

الاستثمار في اللغة العربية من خلال تعليم العربية للناطقين بغيرها في دول الخليج العربي

د. عبد الحميد سيف أحمد الحسامي(*)

(*) أستاذ الأدب والنقد المشارك بجامعتي إب والملك خالد

مقدمة :

تمتلـك اللغـة العربيـة خصوصيتها من كونها لغـة كتابِ دينٍ خـاتم للبشرية؛ ولذلـك لم تكن لغة قوم بعينهم بل هي لغة عالمية تستمد عالميتها من عالمية الرسالة التي تحملها والكتاب الذي نزل بها (بلسان عربي مبين) ولذلك غدت اللغة العربية لغـة كل مسلـم يقرأ في صلواتـه، وأذكاره، هـذه اللغة، منذ أن ينطـق بالشهادتين. ويصبـح الاهتمـام بها ليس ضرورة قومية بـل واجب ديني تحتمـه رسالة الأمة في الحفاظ على دينها والدعوة إليه.

فاللغـة العربية هـي أهم مقومات الثقافة العربيـة والإسلامية، وهي أكثر اللغـات الإنسانية ارتباطاً بعقيـدة الأمة وهويتها وشخصيتهـا، لذلك صمدت أكثر مـن سبعة عشر قرناً سجلاً أمينـاً لحضارة أمتها وازدهارهـا، وشاهداً على إبداع أبنائها، وهم يقودون ركب الحضارة التي سادت الأرض حوالي عشرة قرون، واليوم تنقل اللغة العربية إلى العالم العقيدة الإسلامية ممثلة في كتاب الله القرآن الكريم، وسنة رسول الله -ﷺ الأحاديث النبوية. [1]

كما أسهمت العربية بنتاج من تراث جمالي تجاوز حدود موطنها، وكان شريكًا أساسيًـا في الـتراث العالمـي إن لم يكن متفوقًـا في بعض لحظاتـه التاريخية، وهذا يشكل رصيدًا إضافيًا للغة العربية .

وإذا تأملنـا العمـق الاستراتيجي للغة الغربية نجد أنهـا تستمد عالميتها أيضًا مـن التراكـم الحضـاري والفكري الذيـن راكمتهما هـذه اللغة، فالعـالم كان يقرأ

(١) علي أحمد مدكور، د. إيمان أحمد هريدى، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص ١٣-١٤.

المعرفة من مصادر محدودة منها: المصادر اليونانية، ثم الهندية، والصينية، ثم العربية، بل إننا نجزم بأن التراكم المعرفي الذي نقل باللغة العربية صار خلال القرون الماضية وإلى عهد قريب الأغزر إنتاجًا والأعمق فكرًا ومنفعة للناس، وما يزال الحرف العربي حاضرًا في لغات كثيرة من لغات المسلمين، ويشكل حضوره شاهدًا على سلطة الهوية اللغوية العربية التي امتدت إلى لغات تلك الأمم في مرحلة الفتح الإسلامي وانتشار الإسلام فيها.

إن اللغة العربية تستمد أهميتها من كونها : مرتبطة بالقرآن الكريم، وكونها المفتاح إلى الثقافة العربية والإسلامية، كما أنها من أقوى الروابط والصلاة بين المسلمين فهي من أسس وحدتهم. (١)

إن اللغة العربية هي من أكبر لغات المجموعة السامية من حيث المتحدثين، وإحدى أكثر اللغات انتشارًا في العالم، ويستخدمها حوالي ثلاثمائة مليون وحتى خمسمائة مليون نسمة في ٢٢دولة عربية، وهي لغة القرآن الكريم ولغة مصدري التشريع الأساسيين ..إضافة إلى كونها إحدى اللغات الرسمية الست لمنظمة الأمم المتحدة وعدد من الهيئات العالمية.. (٢)

" وقد تتعدد دوافع المقبلين على تعلّم العربية من أبناء الغرب غير الناطقين بها، وقد لا يكون من بين هذه الدوافع تراث اللغة، وحضارتها وثقافتها الإسلامية، أما أبناء العرب والمسلمين في المهجر فالدافع الرئيس عندهم هو دافع تراثي ديني حضاري، إلى جانب الدافع التواصلي، حيث تحاول الجاليات الإسلامية والعربية

---

(١) موقع جامعة أم القرى : https://uqu.edu.sa/maszahrani/ar/25093.

(٢) يون أون كيونغ محاضرة في قسم اللغة العربية بجامعة هانكوك للدراسات الاجنبية، مجلة الاستاذ العدد (٢٠١) لسنة ١٤٣٣ هجرية – ٢٠١٢ ميلادية.... أفضل منهج لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بهامن وجهات نظر علم اللغة الاجتماعي – .

في بلاد المهجر الحفاظ على لغة أطفالهم الأم عن طريق محاولة استخدامها كثيراً في المسجد، وفي المنزل وفي الرحلات وفي مواقف الحياة العربية والإسلامية حيث لا حاجة للغة الأجنبية"[١] .

وتتميز دول مجلس التعاون الخليجي بأنها دول مستقطبة للعمالة الأجنبية بما تتطلبه طبيعة التحولات التي طرأت على مجتمعاتها بفعل الطفرة الاقتصادية، وظهور النفط الذي جلب معه علاقات جديدة في المجتمع، وفرض شروطًا جديدة من شأنها أن تجعل كثيرًا من أبناء الجاليات العالمية يلتحقون بالعمل في مجتمعات الخليج في مختلف مجالات الحياة.

وهذا يفتح نافذة اقتصادية في مسألة تعليم اللغة العربية إذ كيف يمكن أن يصبح تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بوابة للاستثمار الاقتصادي فضلاً عن كونه استثمارًا فكريًا، وثقافيًا؟

هذه الورقة تسهم في وضع عدد من المقترحات التي من شأنها أن تجيب عن هذا التساؤل، استشرافًا لواقع لغوي أفضل، يحقق غاياته التعليمية والاقتصادية في آن.

---

(١) محمود كامل الناقة، وأ.د. فتحي علي يونس، المنهج التوجيهي لتعليم أبناء الجاليات الإسلامية التربية الإسلامية واللغة العربية، ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٤.

أهمية تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها :

" ينـدرج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في إطار تعليم اللغات الأجنبية عمومـا، إلا أنه يتميز بخصيصتين: الأولى أنه تعليم موجه للكبار عادة، والثانية أنه تعليم مُوجه لغايات محددة. ومعنى ذلك أن وضع المتعلم وحاجاته في هذا النوع من التعليم يختلف عن وضع المتعلم وحاجاته في تعليم اللغة الأجنبية العام." [١]

إن تعليـم اللغة العربية للناطقين بغيرها يحقق عددًا من الأهداف والغايات : وهـي برأي د.عز الدين بوشيخي أربـع غايات : دينية، ومهنية، وعلمية، وثقافية[٢]، ويمكننا أن نفصل في تلك الغايات، ونضيف إليها كما يأتي :

- **هدف ثقافي :**

يتمثـل في نشـر الثقافـة العربية الإسلاميـة: إن اللغة ليسـت مجموعة كلمات أو جمـل بـل إن كل جملة منهـا قطعة من فكر الأمـة، ونبض من نبضـات ثقافتها، ولذلـك فاللغة ليست جسدًا بريئًا إنها كائـن يحمل هوية الأمة وثقافتها، وتضاريس روحها، فالمفردة ولدت وترعرعت في سياقات ثقافية مختلفة تلبستها عبر مسيرتها التاريخيـة؛ ولذلـك فـإن تعليمها للناطقـين بغيرها إسهـام في نشـر ثقافة العرب والمسلمـين. ويمكـن إدراج النتاج الإنسـاني والتراثي للغة العربيـة ضمن المسوغات الحضاريـة التي حققت هذا الهـدف. فالتراث العربي تراث إنسـاني ولأنه إنساني فهو عالمي ولغته العربية هي وعاء هذا التراث العالمي.

- **هدف ديني :**

يلتحق كثير من أبناء الجاليات الأخرى بالإسلام أثناء إقامتهم في دول الخليج بفعل احتكاكهم بالمجتمع، أو بفعل تأثيرات موجهة عبر مؤسسات مثل : مكتب دعوة

---

(١) عز الدين بوشيخي، تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من منظور وظيفي، موقع جامعة أم القرى، http://uqu.edu.sa

(٢) نفسه.

الجاليـات، وكثـير منهم ليس لديه من اللغة سوى مفـردات قليلة تسعفه في التعامل اليومـي، ولا شك في أن تعليمهم اللغة سوف يرافقــه تعليمهم قيم الإسلام، وسوف يتمكنون تلقائيا فهم تعاليم الإسلام بمجرد استيعابهم للغة. ونقول إن تعلم العربية وتعليمهــا لأسباب دينية خالصــة كان وراء المدِّ اللغوي العربـي في القرون الماضية، فكان سابقًا على أسباب تعلمها لأسباب اقتصادية .

- **هدف وقائي :**

مـن خلال إقامتي في المملكة العربيــة السعودية لسبع سنوات لاحظت ملحوظــة هامة، وهي أن الأجانب المقيمـين في المملكة – وهذا ينطلي على المقيمين في سواها من دول الخليجتمكنوا من جر المجتمع المحلي إلى لغتهم الخاصة، لغة الأجانب المحطمة في تراكيبها، الفقيرة في مفرداتها، فتمكنوا مـن نشر مفردات تلك اللغة التي يستعملونها بكيفياتها التي تواطأوا عليها في تعاملاتهـم، وتذكـرت الفرق الهائل بـين حال العرب قديمًـا، وحالهم حديثًـا؛ كانوا قديمًـا يستوعبـون الأمم الأجنبية (الأعجمية) ويمزجونهم في المجتمـع، وتتـم السيطـرة عليهـم ثقافيًا ولغويًـا، فيتكلمـون بالعربية، ويكتبـون بهـا بل فوق ذلـك يؤلفون في علومهـا الدينية واللغويـة والأدبية، كمـا فعـل سيبويه في الكتـاب، أو الزمخشري في التفسـير، أو البخاري في الحديث....أمـا مجتمعاتنـا اليوم فإنها تتنازل عن لغتهـا، ويفرض علينا العمالــة القادمــة من البنجال أو الهنـد أو الباكستــان ... لغتهم فيتكلمها الكبار والصغار، وهذا يعني أن غير النـاطقين بالعربية يفرضون لغتهم في المجتمعات العربية التي كانت يومًا مهدًا للنقاء اللغوي، يحتكم إليها علماء اللغة إن اقتضى الأمر، وهذا يجعلنا أمام مسؤولية حضارية عميقة تقتضي بـذل جهود كبيرة وفـق رؤية استراتيجية تعي الأبعـاد الحضارية والدينية واللغوية لهذه الظاهرة.

ومـن الغريب -فعلاً في هـذه النقطة أن اللغـة القوية والمكان القـوي يفرضان شروطهمـا على الوافد، فيسعـى الوافد جاهدًا إلى تعلم لغة البيئـة التي يعش فيها مستشعرا عوامل الضعف التي لا تسمح له بفرض شروطه اللغوية، إلا أننا في بيئاتنا العربيـة نستسلـم للغة الوافـد وللهجته أحيانًا، ومـا هذا الاستسـلام إلا دليل على الانهزام الداخلـي، والشعور بالضعف وعقدة الأجنبـي التي تجعلنا مجرد محاكين لأضعـف اللغات فضلاً عـن أهمها. ولذلك لا حاجة للوافدين أن يتعلموا لغة المهزوم نفسيًـا ووجدانيًـا. إن العربية بحاجـة العربية الى قانون حمايـة يحفظ لها قيمتها وكرامتها، ولا يتركها وحيدة تتعرض كل يوم للقتل البطيء في بلدانها.

- **هدف تواصلي :**

مـن المسلم بـه أن تخاطب المرء مع مـن يفهم لغته يختلف مع مـن لا يفهم إلا عـددًا مـن مفرداتها، أو لا يفهم البتة؛ فالتخاطب مع مـن لا يعي لغتك فيه قدر من العنـاء، ولا سيمـا إذا كان غير المتكلم بالعربية يقف في موقع خدمي يقتضي تواصل دائم، كأن يكون في بائعًا في محل، أو عاملاً في مؤسسة، ربما تطلب منه شيئًا فيأتيك بسـواه، وربما تأمره بشيء فينفذ عكسه؛ ذلك يحتم علينا أن نتفطن لضرورة تعليم اللغـة لنوفر علـى أنفسنا الوقت والجهد. وقد ذكر بعضـ أصحاب المحلات الكبرى أنهـم يفضلـون العامـل المتكلم للعربيـة – وإن كان بأجر أعلىعلـى العامل الذي لا يحسـن شيئا من العربية وبين أنهم يخسـرون ماديا من جراء انصراف المستهلكين عن المحلات التي لا يجدون فيها متكلما للعربية .

- **هدف اقتصادي :**

يمكـن أن نسهـم في رفـد الاقتصـاد المحلـي لـدول الخليج من خـلال برامج ومؤسسات تعنـى باللغة العربية وتعليمها لكل من يقيم أو ينوي الإقامة فيها، ونكون بذلـك قد حققنا أهدفنا السالفة، إلى جانب الهـدف الاقتصادي، الذي يدر أموالا على خزينة الدولة، ويسهم في تنمية البلد.

أولاً الاستثمار في دول الناطقين بغيرها:

بإمكاننا أن نقوم باستثمار تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من خلال القيام بوضع برامج تنهض بها مؤسسات في الدول التي يتم استقدام العمالة منها: مثل: إندونيسيا، بنجلادش، الهند، ماليزيا، الحبشة، عبر عدة وسائل منها المعاهد المتخصصة التي تقدم عددًا من البرامج، نقترح منها:

١. برنامج (تعلم لتعيش) وهذا البرنامج يصمم من خلال فرق متخصصة تستهدف تقديم مادة علمية لغوية تستوعب المفردات والتراكيب الضرورية لممارسة الحياة في المجتمعات الخليجية، يحاول هذا البرنامج تقديم معجم ونصوص مختصرة، تسهل على المقيمين تعلم أساسيات المعجم الخليجي اليومي الخاص، وفق رؤية تسهل عليهم، النطق والتحادث. هذا البرنامج تقوم بتنفيذه معاهد تابعة لسفارات مجلس التعاون الخليجي، وكونه برنامجًا موحدًا نظرًا لوحدة العادات والتقاليد واللغة في مجتمعات مجلس التعاون. هذا البرنامج يكون تعليمه إلزاميًا لكل من يريد الالتحاق بالعمل في دول مجلس التعاون الخليجي، ويرتبط منح التأشيرة باجتياز الاختبار فيه.

٢. (برنامج مهنتي) هذا البرنامج مهني ذو طابع تخصصي، يقدِّم البرنامج بالصوت والصورة مفرداتٍ وتراكيبَ خاصة بالتعامل في إطار كل مهنة على حدة، هذا البرنامج يسهل التعامل مع العاملين من قبل أرباب العمل، ويختصر المسافة لديهم ويجعل التخاطب ميسورًا.

٣. برنامج (مربيتي) هذا البرنامج يستهدف المربيات العاملات في البيوت، وهو برنامج مهني لكن أفردناه لخطورته، فهؤلاء المربيات هن من يقمن بتلقين الأطفال قيم الحياة، والارتباط بهم منذ الصغر، بمعنى أن هؤلاء يقمن بدور الأمهات، فعلى قدر وعيهن يكون جهدهن في التربية، وطبيعة

تنشئة الأجيال.

ثانيًا: الاستثمار في دول الخليج:

يمكننـــا أن نقوم باستثمار اللغة العربية للناطقــين بغيرها في دول الخليج عبر عدد من الوسائل:

١- وضع السياسات اللغوية :

لــو أن دول مجلــس التعاون الخليجي تنتهــج نهج أمريكا وكنــدا ودول أوربا بل والهند واليابان في مسألة اشتراط لغة الوافدين. ماذا سيحدث؟

هذه الدول لها سياسة لغوية واضحة وقوية؛ فهناك مئات الآلاف الذين يطرقون أبــواب سفارات هذه الــدول وملحقياتها الثقافية، لكنها لا تفتــح إلا لمن يقدم وثيقة تؤيد امتلاكه للغتها. وهذا معناه أن هناك مراكز لغوية مفتوحة ببرامج موسعة كلها تجني الملايين من الأموال مقابل تعليم اللغة، وفي النهاية فإن العامل مضطر لقبول كل شروط التعلم من أجل الحصول على مقعد للدراسة أو فرصة للعمل.

إن وضــع دول الخليــج أفضل بكثير مــن وضع الدول التــي ذكرناها من ناحية حاجــة النـاســ للوصول إليها للبحث عن مقعد دراســي أو فرصة عمل. فيمكن لدول مجلــس التعــاون بقرارٍ واحدٍ أن تفتــح بابًا للمال لا يسد أبــدًا، ليس هذا فحسب بل وأبوابًــا لحل مشكلة البطالة، إلى جانب الأهــداف الأسمى وهي مساعدة الوافدين إليهــا من دول شــرق آسيا وأفريقيا وغيرها على فهم ديــن الإسلام من خلال فهم لغته ودراستها.

ولا شــك بــأن المستثمريــن في دول الخليــج سيجدونها فرصة، وهــم ينتظرون إشــارة من حكوماتهــم للتسابق على افتتــاح آلاف المراكز لتعليــم وتأهيل الوافدين والمقيمــين علــى حد سواء. فما دامت اللغة شرطًا لقبــول الوافد، فإننا سنكون أمام أفكار ومشاريــع عملاقة. ولسنا بحاجة للبداية من الصفــر فالعالم الذي نستشهد به دائما مليء بالخطط الجاهزة إذا كان الأمر يتعلق بشيء غير القرار والإرادة.

٢- تطوير مراكز تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها :

في الحقيقة لا نشتكي من قلة هذه المراكز فهناك مراكز كثيرة وتقريبًا هي موجودة في كل الدول العربية إلا ما هو نوعي منها أو ذو جدوى حقيقية قليل أو نادر. ونحن اليوم بحاجة إلى مراكز في الداخل لتأهيل الموجودين ممن وصلوا ولغتهم العربية ضعيفة أو منعدمة. ونحتاج إلى مراكز في الخارج لتعليم المتقدمين قبل وصولهم إلى العالم العربي. نحتاج إلى مراكز في عواصم الدول والمدن الكبرى في الهند والصين وبنجلادش والنيبال والفلبين وسيريلانكا وفي دول أفريقيا وغيرها.

٣- استنفار المدرّسين والمدرّبين :

إن مشروعا من هذا النوع يحتاج في البداية فقط إلى جيش من العاملين والمدرِّبين لتشغيل المراكز التي ستفتتح سواء بتمويل عربي أو بتمويل المنتفعين منه من أبناء المستقدمين إلى دول الخليج. ويظهر من خلال هذه المشاريع بوضوح العجز في توفير الكفاءات المشغلة لهذه المشاريع. هذا إلى جانب الحاجة التي ستظهر في توفير خبراء لتأليف المقررات والبرامج الإلكترونية المصاحبة لها وسيلزم عن كل ذلك وجود مؤسسات خاصة لتوفير كل ذلك.

لقد لوحظ وجود عجز في مدرسي اللغة العربية في بريطانيا على سبيل المثال فما بالنا إذا صدر قرار من مجلس التعاون أو من جامعة الدول العربية بافتتاح مراكز عديدة في أماكن مختلفة؟ وكنت في مناسبة قديمة قد التقيت بأحد ممثلي الملحقية الثقافية الجيبوتية وتذاكرنا أهمية الحاجة إلى إنشاء مؤسسات تعليمية ومراكز يفيد منها الأفارقة وبالخصوص المجاورون للدول العربية المرتبطون معنا بعلاقات إقليمية وثقافية وإيديولوجية.

٤- استهداف المربّيات في المنازل:

في هـذا الموضوع يمكن ملاحظة أن أبنـاء أسر كثيرة يتعرضون لتشويش لغوي خطير، فالمربيات لا تحسن لغة بعينها؛ فهي تتكلم العربية المكسرة جدا وينشأ الطفل في هـذه الظـروف وهو غير قادر تماما علـى التعبير عن أفـكاره، ولا الإفصاح عما يدور بداخله. فأمه أقرب الناس إليه لا تفهمه ولا أبوه، وفي بعض الأحيان ترافق كل ذلـك تأتأة وبأبأة وأنواع من العيوب الكلامية. إنها مغامرة خطيرة جدًا أن تستقدم المربيـة من النيبـال أو بنجلادش وغيرها من منزلها إلى منـزل الأسرة دون المرور بأي محطات تأهيلية على الأقل من ناحية نفسية واجتماعية.

إن وضـع الأسـرة العربية والخليجيـة على الخصوص وضع خطـير جدًا، فهو معرض إلى ضياع اللغة والثقافة العربية الأولية. فما وجه العلاقة بين ما يحصل لنا اليوم وما كان يفعله العرب بأبنائهم حين يرغبون في تأديبهم؟ فلقد كانوا حريصين علـى تأديبهـم على يـد خبير باللغـة وأديب يسمى (المـؤدب) فيأتـي الطفل آية في التفكير والمعرفة، بعلوم الدين واللغة والشعر.. وغيرها.

٥- الاستثمار عبر المختبرات الصوتية :

"مـن المفيد جدًّا إعدادُ مخبرٍ صوتيٍّ يُشرِفُ عليه أستاذُ الصوتيات، ويُستفاد مـن طـرق الآخرين في وضع لوحـات تحدِّد مخرج الحـرف والصور التـي تعتريه، وحبذا إيجـادُ رموزٍ كتابيةٍ تحدِّدُ كيفية النطق، كتحديد نطق الترقيق والتفخيم.... إلخ. وفي هذا المخبر تتمُّ أمورٍ مهمة في مجال تعليم العربية لغير الناطقين بها حيث إننا نستطيع فيه نقل الجانب النظري إلى جانبٍ عمليٍّ، فتحديد الوحدات الصوتية في اللغـة العربيـة مهم جدًا بالنسبة لمتعلمها من غـير أهلها فالمثال المعروف في هذا المجـال هـو التفريق بين سار وصـار وبين طين وتين فيدرّب الناطقـون بغير العربية علـى كيفية نطق هذا الصـوت في المختبر الصوتي؛ حتى تتأقلـم أجهزة نطقهم مع

هذه الظواهر الصوتية، فعلم الصوت الفنولوجي يخدمنا كثيرًا في تعليم الطالب الفوارق بين الصوتين حيث إننا نركِّز على اختلاف المعنى ونستعين به في إعانة الطالب على نطق الحرف؛ إذ إنَّ جملته العصبية ستوجه عامود الهواء إلى حواجز تتفق مع معنى الكلمة المراد نطقها، فعندما يدرك الطالب في ذهنه أنه إذا وضع دالاً محلَّ الضاد في ضلَّ فتخرج منه دلّ فهذا يخرج الكلمة عن المعنى المستعملة فيه، وهذا سيجعله يحرص على تغيير وضع لسانه لنطق الضاد بشكل صحيح يفيد المعنى الذي يريده وهو الضلال وليس الدل على مكان ما."[(١)]

٦- أندية الأداء اللغوي :

يمكننا استثمار اللغة العربية في تعليم الناطقين بغيرها من خلال أندية لغوية متخصصة يتم اشتراك الأعضاء فيها، ومعايشة أفراد لهم قدرة لغوية متميزة يتم إعدادهم وفقا لبرامج دقيقة هؤلاء يمارسون اللغة ويتحدثون بها مع المشتركين من الناطقين بغير العربية، فيكتسبون العربية الفصيحة في الأداء اللغوي ويتم معالجة عيوبهم الكلامية، وقصورهم في الأداء من خلال هذه الأندية التي تقوم مقام العائلة الإنجليزية أو الأمريكية التي يعيش معها الوافد في مجتمعاتها بغرض اكتساب اللغة، وإذا كانت مجتمعاتنا لا تسمح بتلك الصورة من معايشة الفرد للعائلة العربية، فيمكن الإفادة من أندية الأداء اللغوي لتحقيق الغرض.

٧- إحياء مسؤولية شركات الاستقدام :

لتأهيل المستقدمين في بلدانهم قبل وصولهم، وكذا إعداد مراكز أخرى لتأهيل من هم موجودون حاليا في دول الخليج.

---

(١) محمد خالد الفجر، توظيف اللسانيات التطبيقية في تعليم العربية للناطقين بغيرها، ، http://www.alukah.net

لنـا أن نتسـاءل عـن الفرص التي ضاعت منـا من جراء التساهـل بأمر اللغة العربيـة وإهمالها إلى هذا المستوى إذا اطلعنا فقط على ما تحققه اللغة الإنجليزية أو الفرنسيـة مـن قفزات معلنـة وغير معلنة تفـوق إلى حد كبير عوائـد صناعاتها المحلية. فالوافد والمهاجر في الحقيقة هو رهين لغة البلد القادم إليه وهو لا يملك إلا أن ينافس من أجل الحصول على فرص الاستقدام والهجرة.

ومـن المعقول ونحن في هـذه الوضعية أن نتحدث عن دور شـركات الاستقدام في تحمـل مسؤولياتهـا في الانضمـام إلى مؤسسات لغوية وتربويـة؛ لتوفير التدابير اللازمـة لتأهيل المربيات والسائقـين وعمال المنازل قبل وصولهـم. ويلزم عن هذا الأمر تشجيع الدولة والحكومات مستثمريها على التعجيل بإنشاء مراكز

وأذكـر في هـذا السياق لمجـرد الاستشهاد بمسألة أن المهاجـر رهين لغة البلد المهاجـر إليـه أن المغاربـة يقدم أوراقـه إلى أكثر مـن دولة أوروبيـة بلغات مختلفة ويضطـر في كل ظرف أن يتعلم اللغة الهولندية والألمانية أو الإسبانية أو غيرها حتى يحظـى بواحدة من هذه الفرص. فكم في دول المغرب العربي وحدها من مطبوعات اللغات الأوروبية ومنشوراتها اللغوية؟!

٨- تفعيل دور المؤسسات الدينية:

نـرى كثـيرا مـن أخوتنـا الآسيويـين في المساجـد يتعبـدون الله بلغاتهم، ولا يحسنـون نطق جملة عربية بل كثيرًا ما نراهـم أثناء خطبة الجمعة منصرفين عن الخطبـة؛ لعدم فهمهم ما يقولـه خطيب الجمعة، ناهيك عن فهـم مواعظ أخرى. فمـا هو المطلوب من الخطيب؟ هل نطلب من الخطباء أن يحدثوهم بلغتهم الهجين وبعربيتهم المهشّمة؟!

إنه لأمر جد غريب.

ومـن هـذا الباب تتفتـح منافذ جديدة لنفـع المسلمين والانتفـاع من خدمتهم وتسهيـل أمـور دينهـم فيطرح الأمـر للاستثمار في هـذا الباب من جهـة جمعيات الإرشاد ومؤسسات توعية الجاليات ووزارة الأوقاف وغيرها.

على الجهـات المختصة تحمل مسؤوليتها الدينية والحضارية في إعداد دورات متخصصـة لتأهيـل العمالة والوفدين مـن غير العرب لسمـاع كلام الله والمواعظ الدينية والخط باللغة العربية فنحن لا شك محاسبون في ذلك لأننا نملك الإمكانات ولا نسخرها في خدمة الجاليات العاملة في بلدان الخليج ، أو في خدمة الداخلين في دين الله أفواجًا في بلدانهم.

٩- **وهنـاك فرص كبـيرة مـن خـلال السفـارات والملحقيـات الثقافيـة** لتقـديم مقترحاتهـا بالتنسيـق مـع حكومات الـدول الآسيويـة والأفريقيـة لتصميم برامج التعلـم والتعليـم في وقـت مناسـب وفي ظـروف ملائمـة. والأمـر مـن وجهة نظر هـذه الورقـة متجـاوز لمشكلـة تخص العمالـة الوافـدة فحسـب بـل تتعـداه إلى مستـوى الإضـرار باللغة العربيـة والإضرار بأدائنـا اللغوي وبـأداء أبنائنا وأسرنا العربية.

١٠- توظيف طاقات المُجيدين للغة العربية من أبناء اللغات الأخرى:

ومـن نافذة أخرى نستطيـع أن نستدعي منهم من يجيـد العربية ولغته بشكل ممتاز؛ لتطوير مشاريـع التأليف والمقارنة، بين اللغتين العربية ولغة الوافد، وكذلك الترجمـة؛ فتحقق هـذه المشاريع حضـورًا قويا للغة العربية من خـلال لغات أخرى وتعطـى فرصة لـدور الطباعة والنشر والتوزيـع للتنافس على توفير هـذه المؤلفات النـادرة فقليـلا ما نعثر على برامـج وكتب تفيـد الدارس البنجـالي أو النيبالي أو غيرهمـا بلغاتهم مقارنة مع اللغة العربية أو باللغة العربية مقارنة بلغتهم. والمردود

الأول مــن وراء هــذا النوع من الاستثمــار يعود على اللغة العربية نفعــا وثراءً ومادةً لغويةً ونشرًا لثقافة العرب وحضارتهم ودينهم.

١١- إنشاء قنوات فضائية لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها :

فالأهميــة التي تحتلها القنــوات الفضائية في اللحظة المعاصــرة ليست أهمية يســيرة فبالإمــكان الوصــول عبر البرامــج إلى شريحــة كبيرة مــن الناطقين بغير العربيــة، وبالإمكان توفير برامــج استثمارية عبر القنــوات الفضائية لخدمة اللغة العربية باستهداف الشريحة المعنية .

١٢- إنشاء إذاعة مسموعة :

حتى تكون رديفًا للوسائل السابقة وتعضد رسالة القناة الفضائية بما تتميــز به الإذاعة من قدرة على الوصول للشريحة المستهدفة بطريقة أكثر يسرًا ، وبظروف مختلفة .

الخاتمة :

مما سبق يمكن أن نستنتج ما يأتي:

- أن الاستثمار في دول الخليج العربي في مجال تعليم اللغة للناطقين بغيرها أمر تحتمه الضرورات الحضارية والدواعي الواقعية.
- أن استثمار اللغة العربية للناطقين بغيرها يحقق أهدافًا: ثقافية، ودينية، ووقائية، وتواصلية، واقتصادية.
- أن سوق العمل في دول الخليج العربي، بوصفها دولاً مستقطبة للعمالة يسهم في عملية الاستثمار في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بشكل أكثر جدوى.
- أن استثمار اللغة العربية للناطقين بغيرها يمكن أن يتم عبر برامج متعددة تتم إدارتها في بلدان القادمين للعمل في المملكة قبل مجيئهم لتأهيلهم وظيفيًّا ومهنيًّا بما يتلاءم مع وضعهم الجديد الذي سيكونون عليه بعد استقدامهم.
- أن استثمار اللغة العربية للناطقين بغيرها يمتد ليشمل مرحلة ما بعد استقدام العمالة في بلدان الخليج العربي عبر برامج تمكّن من الارتقاء بهم لغويًّا بما يحقق الأهداف المرجوّة.

المراجع

١. عز الدين بوشيخي، تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من منظور وظيفي، موقع جامعة أم القرى، http://uqu.edu.sa

٢. علي أحمد مدكور، د. إيمان أحمد هريدى، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٣. محمد خالد الفجر، توظيف اللسانيات التطبيقية في تعليم العربية للناطقين بغيرها،http://www.alukah.net.

٤. محمود كامل الناقة، وأ.د. فتحي علي يونس، المنهج التوجيهي لتعليم أبناء الجاليات الإسلامية التربية الإسلامية واللغة العربية، ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو- ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٥. موقع جامعة أم القرى، https://uqu.edu.sa/maszahrani/ar/25093.

٦. يون أون كيونغ محاضرة في قسم اللغة العربية بجامعة هانكوك للدراسات الاجنبية، مجلة الاستاذ العدد (٢٠١) لسنة ١٤٣٣ هجرية – ٢٠١٢ ميلادية.... أفضل منهج لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بهامن وجهات نظر علم اللغة الاجتماعي – .

الاستثمار في اللغة العربية من خلال الترجمة

د. آمنة بلعلي[*]

(*) مخبر تحليل الخطاب، كلية الآداب واللغات: جامعة مولود معمري تيزي وزو – الجزائر

مقدمة :

اللّغة والتّرجمة والاستثمار؛ أية علاقة تربط أحدها بالآخر، وبأيّ منطق نجعل أحدهــا في خدمــة الآخر، لنصــل إلى المعادلة الصّحيحة التي تقبــل كل الحلول، ما دام كلّ طــرف من هذا الثالوث الاصطلاحــي، لا يزال يثير نقاشا وجدلا متواصلا، تُعقــد مــن أجله الملتقيــات، وتُتّخذ حولــه القرارات، وهــو إشكال متــأتّ -بالدّرجة الأولى-من طبيعة المجتمع الذي تطــرح فيه، والوضعيــة الإبستمولوجية التي ترتبط -أساسا-بالمكانة التي يحتلّها كل طرف من هذا الثالوث في العالم العربي.

ونحــن في هــذا المقام، لا نسعــى إلى رسم صورة، قوامها اخــتراق حقيقة هذه الوضعيــة، وربط علاقة تفيض علــى مقوّمات النتائج الضحلــة للاستثمار في اللّغة مــن خلال التّرجمــة؛ بغية إيقاع القارئ في وهم العلاقــة الصحيّة بين أطراف هذا الثالــوث، بقــدر ما نتغيّى تقــديم توصيف لواقع هــذه العلاقة، من حيــث المعوّقات، والمداخــل، والأولويــات، وآليــات الاستثمار، ونحــاول -استنادا إلى مــا تمليه علينا المعطيات- أن نستشرف واقعــا آخر نؤكّد فيه دور التّرجمــة الاقتصادي، وكيف يمكن أن تكــون أداة مــن أدوات الاستثمار في اللّغــة، وكيف يمكن للّغــة العربيّة أن تنافس لغات العالم عندمــا تقع على تخوم إستراتيجيتين، هما: التّرجمة والاستثمار، تكون الأولى، بمثابــة المحفّز، ويكون الثاني هو الهــدف، فتكتسب من خلالهما وبهما هذه اللّغة الطّاقات والآليات التي تجعل منها لغة عصرية .

مبدئيــا، تطرح العلاقة بــين هذه الأطراف الثلاثة التّرجمــة في سياق اهتمام قــديم/ جديــد، يهتــم فيــه بالكيفية التــي يتم بهــا استغــلال التّرجمــة وتوظيفها لخدمــة مشروعــات اللّغــة العربيّة، ومن ثــم، توظيف اللّغــة العربيّــة بوصفها نوعًا من الإستراتيجيــة المبرمجة، واستثمارها لمعرفة أهــداف الآخر الذي نترجم عنه، والتّعريف بثقافتنا التي تنتقل إلى لغته عبر ترجمة كتب عربية، وذلك بغية الوصول إلى تحقيــق التّنميــة الشاملة البشرية والاقتصادية والتحكّــم في تكنولوجيات علوم الاتصال واستغلال الوسائط لتحقيق مجتمع المعرفة والرفاه.

والاستثمـار يسمح بإمكانية الاندماج الإيجابي في العولمة التي تفرض علينا أن نكـون فاعلين وليس منفعلـين، مادام أنها "تعني بشكل عام اندماج أسواق العالم في حقـول التجارة والاستثمارات المباشرة، وانتقال الأمـوال والقوى العاملة والثقافات والتقانـة ضمن إطار مـن رأسمالية حرية الأسواق؛ أي أنهـا تقوم على زيادة درجة الارتبـاط المتبادل بين المجتمعـات الإنسانية من خلال عمليات انتقال السّلع ورؤوس الأموال وتقنيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات"[١].

وعلـى الرغم من ازديـاد الوعي بأهمية التّرجمة؛ حيـث أنشأت مراكز بحوث ومعاهد لمختلف أنواع التّرجمة، كما تبنّت مراكز أخرى مشروعات تشجيع المترجمين ونشـر الكتب المترجمة وتمويلها، إلا أن نسبة ما يصدر سنويا عند العرب من الكتب المترجمة لا يزال ضئيلا. ومن هنا، فالعلاقة بين هذا الثالوث، لن تكون مثمرة؛ لأن تعـثّر أي مشروع يخصّ طرفا سيؤثّر على عمليـة الاستثمار الذي يتيح كلّ العمليات المرتبطة بالبيع والشراء واستغلال المنتوج والأفكار بطريقة أوسع.

وقد يبدو من الصعب تحقيق هذه المعادلة بين التّرجمة واللّغة والاستثمار؛ لأن العـالم العربي لا يملك الخصائص التي تجعله يحقّقهـا، فهو اجتماعيا يعيش نموا ديمغرافيا كبيرا، مع قلّة الإمكانات الطبّية، وضعف المستوى المعيشي، وأمية مرتفعة، وهجـرة مكثّفة من البـوادي إلى المدن، ونزاعات داخليـة، وتهديدات خارجية، وهو يقـوم اقتصاديا على تصديـر المواد الأولية وعدم تحقيق الاكتفـاء الذاتي في المواد الاستهلاكيـة، وضعـف الاستثمـارات الصناعية، وغيـاب التكامل بـين القطاعات الاقتصاديـة بالإضافة إلى ارتفاع المديونية الخارجيـة، والتبعية الاقتصادية للدول الاستعمارية السابقة [٢].

---

(١) فاضل الشيخي، "مفهوم العولمة و نشأتها"، نقلا عن موقع:-http://www.libyanwrit ersclub.com/arab

(٢) محمد يحيى، "العالم الثالث"، نقلا عن موقع:
http://www.islamicnews.net/Document/ShowDoc08.asp

والواقـع يؤكـد عـدم إدراج التّرجمـة في سياسـات التّنمية العربيّـة، وإقصاء اللغـة العربية من الجامعـات العربيّة بمختلف فروعها، مـا أدّى إلى عزوف النّخب العربيّـة عن الإسهام في التّرجمة، ونقص التّمويـل والتّعاون بين المؤسّسات القادرة علـى تمويل المشروعات، والمؤسّسات المهتمّة بالتّرجمة، بالإضافة إلى التأخّر الكبير الملاحـظ في الاستعانة بمجال التّكنولوجيات الجديـدة والاستفادة منها في حوسبة اللّغة والتّرجمة الآلية خاصة.

إن هـذه المعوّقات تركت آثارا وخيمة علـى اللّغة العربيّة، تتمثّل في تلك النّظرة الدونيـة للغة العربيّـة في تقارير كثير من الجهـات المعنيّة بدراسـة واقع اللغات في العـالم، وهذه النّظرة الدّونية وإن اتّصلت بمقاصـد وأهداف إيديولوجية وسياسية معيّنة، إلا أنها تستند إلى حضور اللّغة العربيّة الباهت مقارنة بلغات العالم الأخرى، وبعدهـا عن الحركيّـة التّواصلية العالمية التي يوجّهها المـال والاقتصاد وتكنولوجيا الإعـلام والاتصال؛ فهي لغة لا تحتلّ تصنيفا ضمن أهم الدول العشرين في العالم، وتحتلّ الرّتبة الثانية والعشرين في تصنيف يضم ثلاثين لغة، وإذا وضعنا في الاعتبار هـذه الوضعية، يمكـن أن نفهم طبيعة النّظرة التي تحاط بها العربيّة. والتي ترتبط أساسا بالوضعية، سالفة الذكر، التي تعيشها في الوطن العربي وبين أبنائها، فهي لغة ورثـت بلاغة مثالية، تجعلها تعاني مـن أسباب تحنيط ظاهرُها تقديسٌ نظري لها، نظرا لارتباطها بالدين الإسلامـي، وباطنها إبعادها عن تحوّلات المجتمع المعاصر، وتقـزيم دورها في التّنميـة البشرية، وتحييدها وتهميشها الـذي تبدو آثاره جليّة في المنظومات التربوية العربيّة وسياسة التعليم، والترويج للعاميات المحلية، والتصديق بعـدم قابليـة اللّغـة العربيّة الفصحـى لاستيعاب العلـوم والنظريـات والمنظومات المفاهيميـة التي تُبنـى، والمصطلحية التي تُنتج وتُتداول بوتـيرة سريعة، وتؤثر سلبا علـى التّنميـة البشرية وعلى سياسات لم تبلغ بعد القـدرة الكافية على محو الأمية، لتجابـه بأميّـة أعمق وأخطر، تنتجها الفجوة الرقمية بين الـدول الغربية والآسيوية والبلدان العربيّة التي تقف مرتبكة أمام الثورة المعلوماتية، التي يعدّ إتقان أكثر من

لغة من أوليات الانخراط الإيجابي فيها، والتفاعل مع وسائطها الرقمية، وهذه كلّها مـن جملة التحدّيات التي تواجهها التّرجمـة باعتبارها آلية من آليات الاستثمار في اللّغة العربيّة. ومن هنا يطرح السؤال حول ما إذا كانت هناك صيغة ملائمة في هذا المناخ لكي تصبح التّرجمة فيه أداة للتنمية وللاستثمار في اللّغة العربيّة.

ولأن واقـع التّرجمـة في عمومـه، يشير –وعلـى الرغم من بعض المشروعات الناجحـة في هـذا المجالإلى عـدم التفطّـن لإدراج التّرجمـة في سياسـات التّنمية العربيّة، فـإن أيّ حديث في هذا الموضوع يبقى محاولة للمعاينة والاقتراح أكثر مما هو لمعرفة النتائج. وإذا كان الواقع الترجمي يؤكد أن هناك ضعفا واضحا للبحث في مجـال التكنولوجيات الجديدة المرتبطة بحوسبة اللّغة والتّرجمة الآلية، وأن النسبة العظمى مما يترجم مـن وإلى العربيّة على قلته، مرتبط بالعلوم الإنسانية والدين، يمكننا أن ندرك عمق الإشكال.

ففـي دراسة حول خريطة التّرجمـة في المنطقة الأورومتوسطية خلال الخمس والعشريـن سنة الماضية، أُحصِيَ ما ترجـم إلى العربيّة من الكتب في مجال العلوم الاجتماعية والأنتروبولوجية، والتاريخية والفلسفية والأدبية والدينية بنسبة تقع بين ٨ إلى ١٦٪، في حـين تبلغ نسبـة ترجمة الكتب في مجال الاقتصـاد ٢٪. أما النسبة المترجـم عنها، فتراوحت بـين٩٥٪ من الإنجليزية في دول الخليـج وما يقارب ٥٧٪ في مصـر و٢٧٪ في لبنـان وبـين ٢٠٪و٣٠٪ في الدّول المغاربية، في حـين كانت نسبة التّرجمة من الفرنسية في مصر ١٠٪ وأكثر من ٦٠٪ في الدول المغاربية، وما يقارب ٢٠ ٪في لبنـان وسوريـا. وبغض النظر عن اللّغة المترجم عنهـا، فقد تُرجِم ٣٥٠٠٠ كتاب إلى العربيّة في مدة عشرين سنة أي ما يعادل ٦ ٪ فقط.

وتتـوزّع نسبة الكتب المترجمة في هذه الفترة الممتدة من ١٩٨٥ إلى غاية ٢٠١١ من العربيّـة إلى اللغات الأخرى، بين اللّغة التركية بنسبة ١٢٠٠ كتاب و١٠٠٠ كتاب إلى الفرنسية، والإسبانية ٥٠٠ والألمانية ٤٠٠ والإيطالية ٣٠٠ كتاب، في حين انعدمت

المعطيـات عن التّرجمة إلى الإنجليزية؛ لأن المؤسسة لم تجد إلا بعض الترجمات في الآداب[1].

إن المتمعّـن في هـذه المعطيات والنسـب، باستطاعته أن يقـدر ضآلة الحظ في إمكانيــة إقامة أي استثمار للغة العربيّة، إذا تواصل الأمر بالطريقة التي كان عليها قبـل عشرين سنة. هـذا مع ملاحظة تؤكد أن النسبة الكبـيرة المترجم فيها تخص الآداب والدين، وأن التّرجمة من العربيّة تكاد تكون منعدمة، بالإضافة إلى ضحالة التّرجمة التي ترتبط بالتكنولوجيات الجديدة والعلوم. وأمام هذا الوضع، فالسؤال المطـروح متعلق بسلّـم الأولويات في كلّ حديـث عن الاستثمار في اللّغـة العربيّة من خلال التّرجمة، وخاصة أن ما يترجم من اللّغة العربيّة وإليها، لا يكاد يذكر مقارنة بدول كهنقاريا وإسبانيا وماليزيا وبكيان كإسرائيل.

وفي ظـل الوضع الراهن، إذا وضعنا في الاعتبـار التّرجمة إلى العربيّة بوصفه مؤشـرًا من مؤشـرات الاستثمار، فإن هذا النشاط لا يتمّ لـه النجاح الفعلي إلا إذا توفّرت الإستراتيجية الناجعة؛ لأن القليل الذي يترجم يعكس كثيرا من سوء التدبير والآليـة والاعتباطية، فالمؤسّسات الاقتصاديـة والإدارات في بلادنا العربيّة لا تملك من الاحترافية ما يؤهّلها لكي تقدّم خدمة للغة العربيّة، فهي تترجم في آخر لحظة، وبأية طريقة، وتعهد بالتّرجمة لمن يعتقد أنه مزدوج اللّغة، وكثيرا ما تتكفّل القائمات بالأعمال المكتبية (السكرتارية) بذلك، ولا أدلّ على ذلك من واقع استعمال العربيّة في السياحـة، وفي الإدارة، وفي التعليـم، وعلى واجهات المحـلات التجارية ومختلف الإشارات التوجيهية والاستعمالية في كثير من الدول العربيّة.

إن ازدهار التّرجمة يرتبط بتأثير اللّغة المترجم عنها إذا كانت لغة إنتاج، وإذا

(1) Transeuropéennes and the Anna Lindh Foundation for the Dialogue between Cultures, the French Ministry of Culture and Communication, April 2012; p15/16/17 :www.ekarlate.com

لم تكـن كذلك، فبإمكان التّرجمة أن تسهم في جعل اللّغة المترجم عنها لغة منتجة، بعـد أن تواكـب المعرفة المنقولـة إليها بمختلـف تخصّصاتهـا واستثمارها بطريقة منتجـة كذلك، حيث تنشئ المشروعات الناجحة التي تسهم في بناء مجتمع المعرفة، ولا عجـب أن تكون التّرجمـة إستراتيجية سياسية واقتصاديـة قبل أن تكون مجرد فعل ثقافي، ولعل تجارب أممية كثيرة، ومنذ فجر التاريخ، أثبتت ما للتّرجمة من دور في إحـداث تغييرات في المجتمع، وأحيانا، إمـداد الأنظمة بآليات السّلطة والهيمنة، ومـن هنا نـدرك دور المصلحة، في الاستثمـار بواسطة التّرجمة، فمـا هي الوسائل الكفيلة بتهيئة فاعلة وفعلية لهذا النوع من الاستثمار؟

ولعلنا قبل الحديث عن الوسائل الكفيلة، وهي متعلقة بالأمور العملية والتقنية، لا بـد أن نؤكـد على المبادئ والأسس العامة التـي تمكّن العرب من تدبير الاستثمار في اللغـة العربية من خلال التّرجمة، ثم القواعد التي تسمح بتحقيق ذلك، مراعين في ذلـك التجارب العالمية والعربيّة المختلفة والاستفـادة من إستراتيجياتها، لنؤكد في الأخـير منهجيات العمل الترجمي ووسائله، واضعين في الاعتبار التداخل الكبير بـين المبادئ والأهـداف والإستراتيجيات، والتي يأتي الحديـث عنها متشابكا نظرا للطبيعـة التكامليـة والتشعّب الـذي يفرضه التطـوّر السّريع لتكنولوجيـات العلوم والاتصـال والتّحولات الكـبرى التي يعيشها المجتمع العربـي، والمعوّقات التي تعرقل مجمـل المشروعات الاستثمارية التي لا تخصّ اللغة العربية وحدها، بل تشمل جميع المجـالات. ومن هنا فبحثنا هذا يقوم أصلا على معاينة وتوصيف لوضعية، واقتراح معطيـات لاستثمار يمكّن اللغـة العربية من أن تكون لغة عصريـة يمكن بواسطتها التواصل على الصعيد الدولي.

لا شـك أن تحقيق الأهـداف المرجوّة من فكرة الاستثمار مـن خلال التّرجمة لخدمـة العربيّة، يمـرّ عبر موجّهات ذاتية قائمة على تنميـة الوعي وتكوين المجتمع المتصالـح مع نفســه، لكي تكون له القابليـة للاستثمار، هـذا التّصالح القائم على

إنتاج مـا يستهلك، وتوظيف ما ينتجه الآخر لتحقيق أولويـات نشر التّنمية الشّاملة والمستدامـة في ظل مجتمع المعرفـة، ولعل هناك فرضيّـات أساسية تسبق الحديث عن الأولويات، ويتعلّق الأمـر بالتّسليم بأن التّرجمة مشروع حضاري، وإستراتيجية علميـة وعملية ضرورية، لخلـق مجتمع معرفة يجعل من اللغـة العربية هدفا يسعى المترجـم من التّرجمة منها وإليهـا إلى تغيير الصورة النمطيـة التي عهدها العالم عـن العربـي والمسلم، ويعـاد تكريسها في كل عشريـة بطريقة أكـثر سلبية، ويتّخذ منهـا وسيلة لدراسة المجتمع العربي باعتبـاره مجتمع قمع وإرهاب وتطرّف وتغييب للحقوق والحريات وإقصاء المرأة، مجتمعا مأزوما، وكأنه أمام حالة مرضية وبائية، يجب التخلّص منها عوض معالجتها.

كانـت التّرجمـة ولا تزال من بين أهـم الوسائل التي تسهـم في ترقية النشاط العلمـي والثقافي لـدى الأمم، والتواصل بين الشعوب، لأنها تمكّـن من نقل المعارف والعلـوم وتبـادل التجارب فيما بينها، كما أنها تعدّ من بين الرّكائز التي تضمن للغة الرقـي الاصطلاحـي والتسويق الأمثل لطاقـات اللغات بجعلها قـادرة على مواكبة العصر.

وبمـا أن التواصل يعد الوظيفة الأساسية للغة، وأن هذه الوظيفة اليوم مرتبطة بمـا تفرضه وسائط التكنولوجيات الجديدة من أساليب أخرى تجعل اللّغة البشرية علـى المحـك، فإنّه يتعيّن على اللّغـة أن تؤثث نفسهـا بما يسمح لهـا أن تكون طاقة استثماريـة، تمكّن مـن إدرار أموال تضمن بها تفاعلا معرفيـا أفضل. ولا يمكن أن يتـم لها ذلك إلا من خـلال التّرجمة التي تتأقلم مع أي نمط مـن أنماط التواصل. فقد أسهمت في العصـور الإسلامية في ترسيخ مبدأ التعاون بين المسلمين والشعوب الأخرى، وعـبّرت عن المستوى الفكري والجمالي الذي وصلـت إليه ثقافات الأقوام التي تكفّلت بنقل ثقافتها كالثقافة اليونانية والفارسية والهندية.

واليوم، لم تعد التّرجمة مجـرد تقنية، بل أصبحت إستراتيجية ثقافية ورهانا اقتصاديـا يشكّل جـزءا من آليات التّنميـة الشاملة لأي بلد؛ وتعكـس سياسة البلد اللغويـة، أي أنها أصبحت عامـلا استثماريا ماديا ومعرفيا في الوقت نفسه. فعندما ازدهرت التّرجمة في العصر العباسي، لم تكن ترفا فكريا أو مجرّد تعبير عن رغبة في الاطـلاع على ثقافات الأقوام الأخرى من اليونان والروم والهند وفارس فحسب، بـل كانت حاجة داخلية اقتضاها التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي كان آنذاك، أي أنهـا كانت جزءا من آليات الاستثمار في اللّغة بالقدر نفسه الذي كان الاستثمار في الصناعة والزراعـة، "فعندما قرّر المأمون أن يتجاوز الاجتهاد الفردي في النقل عـن اليونان، فإنه أحـدث المؤسّسة اللازمـة ومنحها من المال مـا يكفي، فتمّ ذلك في بيـت الحكمة"[1]؛ ولذلك نلاحظ ما انجرّ عـن التّرجمة من استثمار اقتصادي "فبسبـب التّرجمة نشأت الوراقـة، وتأسّست المكتبات والمراصـد الفلكية والمدارس والمستشفيـات، ودور العلم والحكمة، وارتقت اللغة العربية وأصبحت لغة العلوم على اختلاف فروعهـا"[2]، ولقد شهدت اللغـة العربية ثـراء في المنظومة الاصطلاحية المترجمـة والمعربة، ولم تثر المشكلات التي تثيرها التّرجمة اليوم عندنا، فلم يطرح حينهـا مشكل المفهوم ولا المقابل، ولا التّبعية، وإن مثل هذا النوع من هذه المشكلات التي تطرح اليوم يعوق فكرة الاستثمار ذاتها.

مـن وجهة نظر اقتصادية تلعـب التّرجمة دورا مهمـا في التمكين من عمليات البيـع والشراء، واستغلال المنتـوج والأفكار بعد ذلك، و"إن قيمة التّرجمة في بلد ما ترتبـط بحالته الصحية، فكلما كان ذلـك البلد قويا اقتصاديـا وسياسيا وثقافيا، ازداد حجـم التّرجمـة مـن لغته إلى لغـات أخـرى، وكان دليلا على قـوة صادراته

---

(١) حافظ إسماعيلي علوي وليد أحمد العناني، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، حوار مع الطيب البكوش، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف،ط١ بيروت، الجزائر، الرباط ٢٠٠٩ ص ٨١.

(٢) ينظر إبراهيم الحاج يوسف، دور مجامع اللغة العربية في التعريب، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ط١ طرابلس، ليبيا ٢٠٠٢ ص١٩٤.

المادية والثقافية، والعكس نجده، عندما يزداد حجم التّرجمة من لغات أخرى نحو لغة ذاك البلد، يمكن أن يؤوّل ذلك، باعتباره دليل ضعف، أو تبعية اقتصادية أو سياسية أو فنية[1].

كما أصبحت التّرجمة تلعب دورا في تحديد الأولويات الدولية وتوجيه سياسات الدول في الهيمنة، ولعل كتابا مثل "التّرجمة والقوة" مثلما يشير إلى ذلك سعد البازعي يؤكّد ذلك التحريك المبرمج أو المخطّط له؛ حيث تتحكّم في كلتا اللّغتين القوى الثقافية في تشكيل الدلالات على نحو واع وغير واع، ويكون المترجم أحد حاملي اللغتين، والحامل لكثير من حمولتها الدلالية، الأمر الذي يترك أثره على تلك الاختيارات تملي بعضها الموروثات اللاواعية، وتملي بعضها الآخر الاختيارات الفردية، وتملي قسما ثالثا قرارات سياسية وإيديولوجية، تفرضها -أحيانا المؤسسة التي ترعى التّرجمة أو التي تنشرها أو التي كلّفت المترجم بإنجازها[2].

إن السّطوة التي تحدث عنها البازعي تحيل إلى الدور الذي توليه الدول الغربية للتّرجمة، وخاصة فيما له علاقة بالهيمنة على الدول، وممارسة القوة وإذكاء الصراعات بين المذاهب والإثنيات، وإذا كان مجال التّرجمة واسعا، يبدأ من أبسط وصفة دواء وطريقة استعمال منتوج إلى بطاقة تقنية واستدعاء، وعقد ازدياد، وشهادة محضر إداري أو مطوية والقائمة لا تنتهي، يمكن أن نفهم المكسب الاستثماري الذي تحصل عليه اللّغة والمداخيل التي تحقّق. فالوثائق المترجمة، تكون هي الناطق الرسمي للمؤسسة التي تمكّن من التواصل معها، كما يمكن أن نفهم أن ترجمة سيئة أو مضلّلة بإمكانها أن تضلل المتعامل بتلك اللّغة المترجم إليها، بل إن ترجمة سيئة يمكن أن تسهم في جعل المنتوج سيئا ويحد من نسبة الطلب عليه.

(1) Daniel GOUADEC.le Traducteur, la Traduction et l'entreprise, AFNOR gestion paris 1989, p7.

(٢) ينظر سعد البازعي، سطوة الترجمة، جريدة الرياض الإلكترونية اليومية، السبت ١٦ شعبان ١٤٣٥ه، العدد ١٦٧٩١،

المبحث الأول: موجّهات القابلية للاستثمار

١-التّنمية البشرية مفتاح التّرجمة :

يحدّد مفهوم التّنمية البشرية الإطار أو المجال الذي يهتم بدعم قدرات الفرد الفكرية وطاقاته الإنتاجية، لتحسين مستوى معيشته، ووضعيته، باعتباره كائنا يتمتّع بحقوق تؤهله لكي يقوم بواجباته استنادا إلى ما توفّره له الدولة من إمكانات مادية ومعنوية. وهي جزء مما يسمّى التّنمية المستدامة التي انتقلت من المجال الاقتصادي حيث يتم العمل على "إحداث مجموعة من التغيّرات الجذرية في مجتمع معين؛ بهدف إكساب ذلك المجتمع القدرة على التطوّر الذاتي المستمر بمعدل يضمن التحسّن المتزايد في نوعية الحياة لكل أفراده، بمعنى زيادة قدرة المجتمع على الاستجابة للحاجات الأساسية والحاجات المتزايدة لأعضائه؛ بالصورة التي تكفل زيادة درجات إشباع تلك الحاجات؛ عن طريق الترشيد المستمر لاستغلال الموارد الاقتصادية المتاحة(...) إلى المجال الثقافي والاجتماعي"[١] ليتّسع المفهوم، ويشمل مختلف المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية.

والاستثمار –اليوم يرتبط بالدرجة الأولى بنتائج التّنمية البشرية الموجودة في هذا البلد أو ذاك؛ بل إن مفهوم الاستثمار ذاته أصبح يقاس بالتّنمية البشرية التي تكون مؤشّرا على أي نمو اقتصادي، وبما أن اللّغة مرتبطة بالإنسان، فهي العامل الأساس الذي تقاس به التّنمية؛ حيث ثبت أن درجة التّنمية ذاتها تقاس بطبيعة المستوى التعليمي الذي وصلت إليه هذه الشعوب، بل إن تحقيقها في أي بلد يعكس بالضرورة نمو الاستثمار ولا أدل على ذلك دول كاليابان، وسنغافورة، وماليزيا، وكوريا، وتايوان وإيران وتركيا.

(١) نصر عارف، مفهوم التنمية، كلية العلوم السياسية-جامعة القاهرة، نقلا عن موقع:
http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/mafaheem

إن المدخـل الاقتصادي "ينطلق من النظر إلى البشر كغاية ووسيلة في ضرورة تنمويـة شاملة ومطّردة، ويأتي شيوع مفهوم التّنمية البشرية في أدبيات هذا المدخل وقبولهـا في سيـاق تطور نظري بـدأ الاهتمام برأس المال البشـري وتطوير الموارد البشريـة، اللذيـن يقومان على التعليم في مقابل رأس المـال المادي الطبيعي، وتؤكد مفاهيـم هـذا المدخل، بـل وتنطلق، من نقطة تعظيـم النـاتج ورفـع إنتاجية العمل، والجانب الواضح في هذا المدخل هو الدعوة إلى الاستثمار في البشر (توفير الصحة والتعليـم والغذاء) من أجل ضمـان قوة العمل القادرة على إنتـاج المزيد من السلع والخدمـات ومن ثم تحسـب تنمية المـوارد البشرية من منظـور اقتصادي محض؛ إذ يشـكل الدخل وتراكم رأس المال نقطة الاهتمـام وتصبح في مرتبة ثانوية أخرى مهمـة مثل البعد الثقافي والإنساني في استخدام القدرات الإنسانية التي تم تكوينها ومجالات استخدامها، ونصيب العاملين من الدخل وتراكم المال المحقق"[١].

إن العلاقـة بين التّرجمة والتّنمية البشريـة علاقة جدلية، فقد تكون التّرجمة وسيلـة مهمة من وسائـل التّنمية البشريـة، تسهم في رفع مستـوى الإنسان المعرفي واللغـوي والثقـافي، وبالمقابل،فـإنّ العمل على الرقـي بالتّنمية البشريـة من صحة وتعليم، يسهم في ازدهار التّرجمة. وفي كلتا الحالتين تكون اللّغة هي الرابح الأكبر.

ومنـذ القديم كانت التّرجمـة أحد الوسائط التي أسهمـت في تحقيق التّنمية؛ حيث بفضل ترجمةِ كُتُبِ تسييرِ السياسات والحكومات والدول انتقلت طرائق تسيير تلك الدول وقوانينها إلى دول أخرى، كما أنّ نقل تقنيات الصناعة والزراعة لبعض الأمم مكّـن من الاستفادة في تطوير الجانب الصناعـي، وهو الأمر نفسه في الفكر والثقافـة عمومـا. وهذا يعنـي أن الدول والحكومـات تعد طرفـا أساسيا في تطوير التّرجمة. فهي التي توفر مصادر تمويل مشروعات التّرجمة ونشر المنتوج، لأن الطّلب

---

(١) علـي الهـادي الحـوات، التعليم والمعرفة والتنميـة دراسات في المجتمـع العربي، ط١، دار الفسيفساء للطباعة والنشر والتوزيع طرابلسليبيا ٢٠٠٧ ص٦٣.

الاجتماعـي والسّياسي على التّرجمة ضرورة حضاريـة يسندها مبدأ التعاون الذي كرّسـه القرآن الكريم في قولـه تعالى﴿وجعلناكم شعوبا وقبائـل لتعارفوا﴾، ولقد أدركـت كثير من الدول هـذه الحقيقة، فكانت التّرجمة طريقها إلى التطور والتفوق الاقتصادي كاليابان حيث "اعتمد اليابانيّون التّرجمة المكثفة عن الثقافات الأخرى بـكلّ ما هو مفيد لترقية بلادهم، وتمثلوا مقـولات ثقافيّة لدى الشّعوب الأخرى بعد أن أعطوهـا سمة يابانيّة واضحة المعالم. فطـوّروا الكانجي الصينيّ، وأضافوا إليه لغـة حروفيّة خاصّة باليابـان، معروفة باسم "الكاتاكانـا"، و"الهيراغانا". كذلك طوّروا باقي الفنون التي اقتبسوها عن الآخرين وأضافوا إليها سمات يابانيّة أصيلة لم تكـن معروفة سابقاً. حتّـى إنّ اليابانيين أنشأوا ديانـة الشنتو الخاصّة باليابان، بعد أن حافظت الديانة البوذيّة على طقوسها التقليديّة"[١].

فالتّرجمـة –بهـذا المعنى علم وصناعـة موضوعها اللّغة ولكـي تصبح مؤسّسة تستثمـر من خلالهـا اللّغة وتتطـور ينبغي توافر الشّـروط الأساسية لكـي تكون به قـادرة على ذلك. وعندما يتوجّه النظر إلى آليات التّرجمة ووظيفتها دون الأخذ في الاعتبـار الشروط التي تضمن لهـا أن تكون مؤسّسة أو تنتج المؤسّسة، فإن ذلك يعد نوعـا من الحذلقـة التي تروم بعض الترميمات، لأننا في هـذه الحالة سوف نطالب القائمين على شؤون ترقية اللّغة بأن يؤسّسوا مشروعات شكلية لا غير.

إن الإشـكال الرئيسـ والملحّ في موضوع دور التّرجمـة في الاستثمار في اللّغة، لا ينبغـي أن يتّجه إلى النتائج ويتغافل عن الأسـس التي يقوم عليها منطق الاستثمار. وباعتبـار التّرجمة مجالا مهمّا من مجالاتـه ينبغي أن تسبقه إجراءات أخرى تحيّن دور التّرجمـة وأهمهـا التّنميـة البشريـة، كما أسلفنـا، التي يعـدّ التعليم مركزها

(١) –مسعـود ضاهـر، مجتمـع المعرفـة في اليابـان والدروس المستفـادة عربيـاً، حـرّر في:٢٠١٣/٠٢/١٥:الصفحة الأولى عن موقـع-aafaqcenter.com/index/php/category/78

الأساس. فكيف يمكن أن نتحدث عن دور التّرجمة في عالم (وأقصد العالم العربي) لا يزال خارج التصنيف العالمي في كل مجالات الحيوية، أو في أحسن الأحوال يحتلّ آخر الرتب. وبعبارة أخرى، إذا كان الحديث عن الاستثمار في اللغة العربية من خلال التّرجمة لكي توفّر مصادر دخل، وهو دور اقتصادي بامتياز، فكيف يستقيم الأمر أمام وضع نُجَرّ فيه كرها إلى ثقافة العولمة التي تجبرنا على الابتعاد عن كل ما من شأنه أن يدخلنا في التاريخ المعاصر، بل تجبرنا على الخروج من تاريخنا الشخصي.

إذا سلّمنا -مبدئيا بأن العقل العربي مؤهل للتّرجمة، فهل هو مؤهل أيضا لكي يستثمر في الواقع ما يترجم، كيف يمكن أن تدخل التّرجمة إلى عالم الاقتصاد من بنوك وسياحة وإعلام ومؤسسات الصناعة وغيرها مما يمكن أن يعود بالنفع على اللغة العربية معرفيا؟

إن نجاح أي انخراط في مثل هذا المشروع لا يكون إلا بحسّ المواطنة القائمة على "وعي الأفراد بالانتماء للوطن، وإحساسهم بهوية لها عمقها التاريخي والحضاري، وحملهم الدائب على تثبيت هذا الرصيد والارتقاء به إلى أعلى الدرجات بين الأمم"[(١)]، فاللغة العربية لا تواجه تحديات عالمية إلا بسبب مشكلة مع أهلها وأبنائها بالدرجة الأولى، لأن مشكلة العربيّة ليست تقوم في تأخرهم التكنولوجي والعلمي، ولكنّها تتمثل في فقدانهم لهويتهم النوعية ومحاولتهم المتكررة ترجمة هويتهم إلى هويات الآخرين النوعية"[(٢)].

إن تأكيدنا المبدئي على البعد الثقافي لكل إشكال يطرح مرتبط بكون اللّغة تشكّل في كل سؤال مرتبط بالتقدم والرقي قطب الرحى الذي تؤول إليه الأمور كلها.

---

(١) سعيد يقطين، الأدب والمؤسسة، نحو ممارسة أدبية جديدة، منشورات جريدة الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء مارس ٢٠٠٠، ص٨.

(٢) حافظ إسماعيلي علوي، ووليد أحمد العناني، أسئلة اللغة. أسئلة اللسانيات، حوار مع أحمد العلوي، ص٢١.

فليست هناك لغات متقدمة معلوماتيا ولا تكنولوجيا إلا بإيمان أهلها بها، والاشتغال عليهـا وتوجيه الأموال إلى التّرجمة إليها وحوسبتهـا، ولعله دور ثقافي قبل أن يكون دورا تقنيـا. وأن هيمنة اللغات الأوربية اليـوم كالإنجليزية، راجع إلى الدور الثقافي الـذي قام بـه الإنجليز في نشرهـا عن طريق عرضـ المسرحيـات، وتطبيق مقولة شكسبـير "أعطني مسرحـا أعطِك شعبا مثقّفـا"، والتركيز علـى توجيه الأطفال إليهـا عن طريق التّمثيليات؛ وتيسير استعمـال الإنجليزية وتعميمها بالاعتماد على اللّغـة الوظيفيّة البسيطة؛ الأمر الذي سهّل بعد ذلـك للمؤسسات العلمية والثقافية والإعلاميــة في تلك البلاد بجعل هذه اللّغــة لغة العلوم والتكنولوجيا، وهي اليوم لها السّيــادة في مجـال الإلكترونيات حيـث إن ٨٠ ٪ من المعلومـات الضخمة في مواقع الإنترنـت هي باللّغة الإنجليزية، "وفي هـذا المجال تحتلّ الإنجليزية المرتبة الأولى، فهـي اللّغـة الوحيدة بين جميع اللّغـات العالميّة التي تستخدم لغـة رسميّة في قارات العـالم كافّة؛ حيث يبلغ عـدد الدّول التي تستخدم اللّغة الإنجليزية لغة رسمية تسعاً وخمسـين (٥٩) دولـة، وهو أكثر من ضعف عدد الدول التـي تستخدم اللّغة العالمية الثّانية وهي الفرنسيّة، إذ يبلغ عددها ٢٨ ثمانيا وعشرين دولة"[١].

ومـن هنا فإن التفكير في قضايا التّرجمـة ومسؤولية المترجمين ودور التّرجمة في جعـل اللغة العربية لغة قـادرة على الاستثمار والإسهام في درّ الأموال مثلما تقوم بـه بقية اللغات المهيمنة في العالم، لا يمكن أن يمر دون أن نموضع إشكاليته الموضع الذي يسمح لنا بوعي الإشكال أولا ويمكننا من اقتراح الحلول بعد ذلك.

٢- بناء مجتمع المعرفة وانفتاح الجامعة:

تنــدرج مقولة بناء مجتمع المعرفـة في إطار المسألة الثقافية بمدلولها الشموليّ الذي يتضمّن توسيـع مجال الحريّات التي تضمن تحقيق حاجيات التّنمية البشرية

(١) محمود السيد، اللّغة العربية واقعا وارتقاء، وزارة الثقافة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق ٢٠١٠، ص ١٩/٢٠.

الضروريـة، كالرفاه المادي والتعليـم العصري الذي يحقّـق التواصل والانفتاح من خلال التّرجمة، والفنون، والبحث الأكاديمـي، والتكنولوجيا وغيرها. وإن التواصل الـذي تضطلع به التّرجمة لا يمكن أن يـؤدي ثماره الحقيقية في نقل الثقافة والعلوم إلا بخلـق هذا المجتمع، ومن هذه الثمار ظهور النّخـب الثقافية والإدارية التي تضع على عاتقها المصلحة العليا للوطن، وتسهم في توجيه سياسة الدولة نحو المشروعات التّنمويـة، فتسهـم في التخطيـط وتحديـد الميزانيات وتقديـر أهـداف الاستثمار ومجالاتـه والآليـات الكفيلة بتحقيق النسـب الضرورية بالتّنمية والتـي تبدأ بتعليم أفـراد المجتمع وتثقيفهم بالعلـوم العصرية والتعرّف على أسـرار التطور في الدول المتطورة، وفي مقدمتها التّرجمة التي تبقى المحرك الأبدي حتى وإن بلغ البلد درجات التطـور العليـا، فها هـي اليابان مثلا تنتقل مـن التّرجمة إلى لغتهـا، إلى التّرجمة منهـا "ونشـر المزيد مـن التراث اليابـانيّ إلى اللغـات العالميّة الحيّـة، وبالاستناد إلى اليابانيـين أوّلاً. وبـدأت ملامح مشـروع متكامل لترجمة كتـب أساسيّة ومهمّة تعـبّر عـن شخصيّة اليابـان، وخصوصيتها التاريخيّـة والثقافيّة والفنيّـة والعلميّة والتكنولوجيـة والأدبية وغيرها. وتؤدّي مؤسّسة اليابان(The JapanFoundation) الـدور الأساسـيّ في ترجمة ونشر التراث الثقافيّ اليابـانيّ إلى اللغات الأخرى"[1]، ومنذعام٢٠٠٢ بدأت المؤسّسات الثقافية اليابانية –تحت إشراف وزارة الثقافة في اليابانبإعداد موازنة سنوية لتشجيع ترجمة التراث الياباني إلى اللغات العالمية وقد خصّصـت الوزارة مبلغ١٩٨مليونا، للإسهام في ترجمـة ونشر الأدب الياباني عبر اللغات العالمية الحية، وخصّص مبلغ مماثل لعام٢٠٠٤ بعد أن بدأت ملامح مشروع متكامـل لترجمة كتـب أساسية ومهمّة تعبّر عـن شخصية اليابـان أو خصوصيتها التاريخيـة، والثقافيـة، والفنيـة، والعلميـة، والتكنولوجية، والأدبيـة، وغيرها، وفي عـام ٢٠٠٤ أقرّت مشروعا استثنائيا لترجمة أكثر من ثلاثين كتابا يابانيا إلى اللغة

---

(١) مسعود ضاهر، مجتمع المعرفة في اليابان، والدروس المستفادة، مرجع سابق.

العربية خلال السنوات الثّلاث القادمة"[١].

والملاحظ أن هذا الأمر يندرج ضمن سياسة تقوم على التّخطيط القائم على المصالــح اللّسانية، التــي ترتبط بدور الحاجيات اللسانيــة في توليد تغيرات ثقافية واقتصاديــة تعيشها مثل هذه المجتمعات المتطورة والتــي تتجلّى في سياقات متعدّدة مثلمــا تذهب إلى ذلك ماريا تيريزا كابري، منها الحاجيات الجديدة للتواصل التي تظهــر تبعا لافتتاح الفضاءات الجديدة، والحاجيــات الجديدة للتسمية التي تظهر بحكــم تسريع العلوم وظهور تخصّصات جديــدة، أو حاجيات يفرضها منطق تعدّد اللّغــات ذاته الذي نقــل المجتمعات المعاصرة إلى توجّه مــزدوج، يقوم من جهة على الميــل إلى أحادية اللّغة ومن جهة أخرى ميــل نحو تعدّد لغوي[٢]. ولعل دولة كاليابان -مثلما أسلفنا ذكرهقد أدركت هذه الحاجيات، فانتقلت من التّرجمة إلى لغتها إلى التّرجمــة من لغتها سعيا للإسهــام في هذا الحراك الاستثمــاري العالمي في اللغات الذي يفرض على الدول المصنعة أن تقبل بالقيود التي يفرضها التبادل الاقتصادي والعلمي والثقافي من خلال اللّغة.

إن إدراك هــذا المقــام، يقتضي أن تنفتــح الجامعة وخاصة مــن خلال العلوم النظرية كالعلوم الإنسانية التي تلعب فيها اللّغة دورا مهما على المجتمع، ثم التحرّك مــن أجل استثمار هذه المعرفة لإنتاج معرفة أخرى، ولا يتأتّى ذلك إلا بربط التّعليم بالمؤسّســات وســوق العمل حيــث يتم الاستثمــار في الإمكانات المعرفيــة واللغوية في ســوق العمــل، وإحداث علاقات بــين الجامعة والواقــع، وهذا لا يعنــي الانتقال من

(١) حسن لحساسنة، دور الترجمة في تطوير البحث العلمي في الاقتصاد الإسلامي ومساهمتها في تقــارب وجهات النظر وتحديــد وتصحيح مسار مستقبل دراســات الاقتصاد الإسلامي العالمية، الجامعة العالمية للمالية الإسلامية، البنك المركزي الماليزي ماليزيا ص٤٣١، عن موقع: http://www.univ-guelma.dz/seminaires/sem27-28-11-2012.pdf

(٢) ينظــر ماريا تيريزا كابــري، المصطلحية النظرية والمنهجيــة والتطبيقات، ترجمة: محمد أمطوش، ط١ عالم الكتب الحديث، إربد الأردن ٢٠١٢ ، ص٢٩٢/٢٩٣.

الاستثمـار المعرفي إلى الاقتصادي والمادي –فحسبولكنـه يعني كذلك، إحداث نوع من الانسجام والتفاعل، الذي لا يُبقي المهتمين باللغات والآداب متقوقعين في بحوث نظريـة تأريخية. فالاندماج في المجتمع يولّد الحاجـة إلى مواكبة التطوّر الذي يولّد بـدوره ضرورة التّرجمة، أي إحداث أثر في الواقع؛ لأن اكتساب المعارف واستيعابها لا يقيّـم إلا في علاقته بالواقـع، لكي تصبح هذه المعارف دليلا ومؤشرا حقيقيا على التّنميـة البشرية، وليس مؤشرا على الخروج من الأمية التي لا تتجاوز تعلم القراءة والكتابة.

يقتضي هذا أولا: الانتقال باللغة العربية من حال إلى آخر، ومن وضعية جعلت اللغـة العربية لغة إنشاء وصناعة كلامية، ورثت بلاغة إنشائية مثالية لا يريد أهلها الحيـاد عنها، إلى لغة معاصرة تدخل مجـال التواصل العالمي، والاستثمار التجاري والمـالي. وإن وضعية اللغة العربيـة سوف تجد صعوبة في هذا الانتقال؛ لأن ما ورثته يعـوق ذلك، ولذا لا بـد من البحث عن الوسائل الكفيلة بنقلهـا من الوضعية الأولى إلى الثانيـة. وقبل الوسائل نحتاج أولا إلى العقل الموجّه مثل العقل الذي وجّه اللغات الأجنبية لكي تكون لغات معاصرة؛ لأن التّرجمة فعل ثقافي بإمكانه العمل على تثوير الطاقـات المعطّلة في المجتمـع وتصبح عاملا استثماريا يسهـم في تغيير المجتمعات العربيّة نحو مجتمع المعرفة.

٣- رفع التعارض بين المصطلح والتّرجمة (التّرجمة مفتاح المعرفة) :

هنـاك ركائـز تعتبر مداخـل أساسية لمساعدتنـا على التفكـير في الاستثمار في اللغـة العربيـة من خلال التّرجمـة، وهي تبـدأ بتجاوز فكرة اختـزال التّرجمة في المصطلـح، وتجـاوز النّظـرة المثالية له وصـرف الجهد لمعالجـة إشكالية ثانوية مصاغـة فيما يسمّـى إشكالية المصطلح؛ لأن هذه الصياغة هـي نتاج أشكلة قائمة علـى التوصيف الذي يعتقد أن المصطلح هويـة مفصولة بنيويا عن السياق المعرفي، وأن إشكاليتـه في الصياغة اللغويـة للمصطلح ذاته، كما أن الاختلاف في المصطلح

بـين الكتاب يعد مشكلـة وسببا في الاضطراب، وأن ما يسمّى مشكلة المصطلح حالة غـير عادية ويجب معالجتها في المؤتمرات والمجامع وغيرها، ويغيب عن الأذهان أن المصطلـح ليـس سوى لفظة أو عبارة تدل على مفهوم معرفي نظري أو عملي، أي أنه ترجمـة لفكرة وصلنا إليها عبر البحث فصغنا لهـا اسما لتعرف به، وهذا يعنـي أن المصطلـح مرحلة فكرية ثانية يصل إليها الفكر بعد تكوّن المفهوم، والحقيقة أنه في إثارتنـا لفكرة المشكلة المصطلحية و إهمـال الحديث عن ماذا نترجم، وكم نترجم إنمـا هو تحويل الحقيقي إلى وهمي والوهمــي إلى حقيقي، وليس كافيا أن يقال إننا أيضـا نتحدث عن المفهومـات في حديثنا عن المصطلحـات؛ لأن أمر الترتيب مهم، والوعي بهذه المعالجة المنهجية أكثر أهمية، غير أن معظم المعالجات تأتي معالجات تقنية، ومثل هذه المعالجات لن تصل إلى شيء؛ لأنها تبدأ من توصيف خاطئ وأشكلة خاطئة، بل تبدأ من الخطوة العاشرة بدل الخطوة الأولى. تبدأ من فرع لا من أصل، فـإن كان التحليـل ينقلنا من المصطلح إلى المفهوم ومن المفهـوم إلى النسق، فذلك يقـدم لنا المفتاح المنهجي لمعالجة المشكلـة الاصطلاحية بشكل علمي سليم من دون أن يعنــي هذا رفع الإشكالية؛ لأنهـا مبحث معرفي مهم، وقد قال الإمام القرافي: إن "معرفـة الإشكال علم في ذاته"؛ لأن المفاهيم ليست ثمرة إبداع حر، وإنما هي نتاج أعمـال التّرجمة الكثيرة والطويلة، مثلما حصل في الثقافة الإسلامية؛ حيث لم يكن موضوع وضـع المقابل العربي إشكالا لأنهم كانـوا منشغلين بالتّرجمة عن المصطلح المترجـم أو المعرّب المستقيم الأقـرب إلى العربيّة أو البعيـد المستهجن. وإذا سلّمنا بهذه الحقيقة، لا يصبح الانشغال بمصطلحات القليل الذي ترجم، عائقا في طريق الكثير الذي يترجم، وفقه الأهداف الإستراتيجية المنوطة به.

وإذا تأكّـد لنـا أن المصطلح ليس بنية مغلقة ولا هويـة معزولة، إنما هو معطى ملحـق بسياق يفرض عليه هيمنتـه، يتمثّل في النص والاختصاص، وأن المصطلح ليس قضية لغوية تقنية بل هو قضية فكرية تخضع لموجّهات منطق الفكر الذي تدور في محيطـه، وتتحكّـم في المترجم، وأن مـا يعتري المصطلح من عيـوب في البناء أو

غـيره ليسـ حالة سلبية، فإنـه لا يمكن معالجة المشـكلات المصطلحية إلا بمعالجة الخلـل القائم في البنيـة الإبستمولوجية للنسـق المعرفي، فليس كافيـا أن نظل ننبّه المؤسّسـات العلميـة إلى دورهـا؛ لأن المصطلـح لا يبنى في غرفة مغلقـة بل هو نتاج النسق في حال تحققه واقعيا من خلال حركة ترجمية فعالة وفاعلة ومنتجة، يتحقق من خلالها غرض التّرجمة باعتبارها عملية تحويل. وانتقال المصطلح من مصدره الأصلـي بواسطة التّرجمـة ليتم تداوله لدى جماعات أخرى قد تستعمله في غير ما وضع له أصلا أو تختزل استعماله فتشير به إلى جانب من جوانب الظاهرة أو توسّع استعمالـه، أو تضيقه، أو تحرفه، أو تستعمله استعمـالا رمزيا بلاغيا، وعلى الرغم مـن أن عبـارة المصطلح مفتـاح المعرفة هي عبـارة صحيحة جزئيـا، لكنها ليست صحيحـة بالمطلق، والعبـارة الأكثر صحّة هي التّرجمة مفتـاح المعرفة، لأننا سنظلّ علـى جهل دائـم بالمصطلح ما لم نتمكّن مـن ترجمة المعرفة الثقافـة التي أنتجته، ونؤسّسـ لـه علما يسير جنبـا إلى جنب مـع التّرجمة، فكما أن وجـود مصطلحات في معاجـم وقواميس متخصّصـة، يسهّل عملية التّرجمـة، فالتّرجمة أيضا، تسهم بدورها في تطوير صناعة المعاجم وعلم المصطلح.

٤ - ترشيد مؤسسات التعليم للتّسويق للعربية :

إن سياسة التربية والتعليم في العالم العربي على اختلافاتها تشهد أزمة معرفية وحضاريةً نظرا لاعتماد جلّها على اللغات الأجنبية في تدريس مناهجها. الأمر الذي يقلـل من حظوظ حركة التّرجمـة التي تنشط عندما يكون التدريسـ بالعربيّة؛ لأنّ تعريب التعليم -ولا سيّما الجامعي منهأداة لتفعيل التّرجمة وتأمين الكتاب المترجم إلى اللغـة العربية للطّلبـة والمدرّسين معاً، وهـي تتأثر سلبا عندما يكـون التّدريس والبحـث باللّغة الأجنبية. فيحصـل نوع من التعارض بين الواقـع والجامعة، فضلا علـى ضعف مستوى التحصيـل البيداغوجي، وتخريج حاملي شهـادات لا أصحاب كفاءات.

إن تجارب البلدان التي نجحت في الاستثمار كاليابان، تؤكد أن محافظتها على لغتها كانت هي ثروتها، حيث قبلت كلّ شروط الاستسلام من مثل "... تغيير الدّستور، وحلّ الجيش ونزع السّلاح... إلخ، وقد قبلت جميع تلك الشّروط ما عدا شرطاً واحداً لم تقبل به، وهو التخلّي عن لغتها القوميّة في التّعليم، فكانت اللّغة اليابانيّة منطلق نهضتها العلميّة والصّناعيّة[1]".

من جانب آخر، فإن واقع تعليم التّرجمة في البلاد العربيّة، يؤكّد ابتعاده عن التّحوّلات العالمية وعن الواقع، فعلى الرغم من وجود أقسام للتّرجمة في الجامعات إلا أن المتخرّج منها يقصر همّه على التعرّف عن الجوانب النظرية أو بعض الممارسات الجزئية لنصوص قديمة، ما يعني عدم وجود تلاؤم بين التعليم في التّرجمة والتحوّلات الاجتماعية وفي الواقع وفي العالم، وإن هذا الضعف وهذه الطريقة في تعليم التّرجمة على تلقين الجانب المعلوماتي النظري دون التطبيقي، والانفتاح على الواقع وجعل الكتب والنصوص القديمة هي موضوع الاهتمام التّرجمي، يعدّ من المعوّقات الكبرى في الفعل التّرجمي الناجح. الأمر الذي انجر عنه وجود كم هائل من المتخرّجين من معاهد التّرجمة ولكنهم غير قادرين على امتلاك المهارات اللازمة لمواكبة العصر، بل إن أغلب المتخرّجين من أقسام التّرجمة يوجهون إلى العلوم الإنسانية والآداب، لتوجّه مراكز التّرجمة في الوطن العربي إلى الاهتمام بالكتب ذات الصلة بالعلوم الإنسانية، في حين جرّ إلى التعليم في العلوم التّطبيقية والطب والتكنولوجيا باللغات الأجنبية، عدم وجود مؤهلين للتّرجمة في هذه التخصصات إلا بعض الاجتهادات الفردية والشخصية.

إن هذا الأمر أنتج خللا في التوازن ودور التّرجمة في علاقتها باللّغة الأم. والخلاصة أن الجامعة لا تقدم سياسة ترجمية شمولية تمكّن الطلبة في جميع

(١) ـ محمود أحمد السّيد، اللّغة العربية وتحدّيات العصر، وزارة الثّقافة، الهيأة العامّة السّوريّة للكتاب، دمشق ٢٠٠٨ ص ١٦٧/١٦٨.

التخصصـات مـن أن ينفتحـوا علـى الواقع ويكونـوا مترجمـين متخصّصين. لأن الجامعـات العربيّـة لا تزال تؤمن بالتقسيـم بين العلمي والأدبـي، "وهذا التقسيم يغفل جسور الترابط والتفاعل بين مختلف أجزاء المعرفة، ويخلق كثيرا من المشاكل (هكـذا) والصعوبات عند مستويات البحث العلمي والتّخطيط والعمل والتنفيذ لأي جانب من جوانب التّنمية الشاملة"[(١)].

وإذا اعتبرنـا أن التّرجمـة هـي جانب مهم من جوانـب التّنميـة، وأن تعريب التعليـم ضرورة لكل مشـروع استثماري في اللغة العربيـة، وأن التّرجمة رديف هذه العملية وسندها، فإننا لا نستطيع أن نقدّر حجم الخسارة التي تنجرّ عن عدم تعليم العلميين اللغة العربية وعدم إدراج مادة التّرجمة في أقسامهم.

وإذا لم نكـن قادرين على تجاوز استيراد مناهـج التعليم العالي نظرا للفجوة العلمية بيننا، فعلـى الأقل نكون حريصين على أن تكون لغة التدريس باللغة العربية وتعميـم إدماج التّرجمة. وتوجيه أقسام التّرجمـة في الجامعات والمراكز وذلك من أجل توفير عناصر تملك الكفاءة اللازمة لتحقيق الأهداف المرجوة، من أجل العمل علـى انتقـاء ما تجب ترجمته مـن وإلى اللغة العربية، وإدمـاج الطلاب غير العرب الراغبـين في توظيـف اللغة العربية للتّرجمـة إلى لغاتهم، وتنظيـم دورات تدريبية لتأهيل أفضل للعاملين في حقل التّرجمة، والعمل على صياغة قواميس الجيب والأدلّة السّياحيـة بوصفها مرحلة أولى تؤدّي إلى تطويـر صناعة المعاجم المتخصّصة؛ لأن لغـة لا تملك قواميس ولا تحيّن قواميسها القديمة لا تستطيع اللحاق ولا التواصل ولا النجـاح في التّرجمة، فقد ثبت أن نجاح حركة التّرجمة عند العرب ما كانت لتنجح لـولا معاجم الفراهيدي والجوهـري والزبيدي، وتصنيفـات قواميس متخصصة؛ حيث إن صناعة القواميس سبقت التّرجمة وواكبتها في الوقت ذاته.

---

(١) علي الهادي الحوات، التعليم والمعرفة والتنمية، ص٨٤.

إن ترشيد السياسة التعليمية، التي تمكّن من إنشاء مجتمع قادر على اكتساب المعرفـة وإعـادة استثمارها، هـو جزء مـن إستراتيجية تكويـن الرأسمال المعرفي، الـذي ينبغي أن يستثمر بتوظيف ما تم تعلمه من معارف لخدمة التّنمية في علاقتها بالسـوق، لتأهيل الأفراد في الانخراط في العمل والاستثمار بمشروعات تخدم اللّغة، خاصة إذا ما علمنا أن التقنية اليوم أصبحت تلعب دورا في مجال التعليم، كالتعليم الافتراضـي، والتعليـم عن بعـد، وغيرها من الفضـاءات التربويـة والتعليمية التي يعكس ثراؤها وتعدد اختصاصاتها تعدد وتعقد تقنيات الإعلام والاتصال الجديدة مثلما هو حاصل في البلدان المتقدمة.

وتعليم العربيّة للناطقين بغيرها مـن المشروعات التعليمية الرائدة التي يمكن أن يتـمّ استثمارها في التّرجمـة، فمراكز التعليم المكثف للغات بتلمسان في الجزائر –مثلا تخـرّج في كل سنـة مئات الأجانـب الذين يفدون من أجل تعلّـم العربيّة، من تنزانيـا، والرأس الأخضـر، وزامبيا، وغينيـا، وغيرها من الـدول الإفريقية، وإذا علمنـا أن معظـم هؤلاء الطلبـة لغتهم الأولى هـي الإنجليزية، وأنهـم مسجّلون في الطـب والهندسة المعمارية والإعلام الآلي[1] يمكـن أن نتنبّأ بالنتائج التي يمكن أن تترتّب عن تعلّمهم اللغة العربية واستثمار ذلك في التّرجمة، بالإضافة إلى أن هناك تعاونـا وتنسيقا مع معهد تعليـم اللغة العربية للناطقين بغيرهـا بجامعة أم القرى، سـواء في البرنامج المقرر أو في المنهج. وهناك أسباب كثيرة تدعو إلى الاستثمار في هـذه الطاقات البشريـة، خاصة أن هناك نسبة كبيرة مـن الأجانب الناطقين بغير العربيّـة في البـلاد العربيّة، كالماليزيـين في الأردن، والعمالـة في الخليج التي بلغت حوالي ٨ ملايين.

---

(١) يراجع، نسيمة سعيدي، تجربة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بمركز التعليم المكثف للغـات بجامعة تلمسـان، المؤتمر الدولي الثالـث للغة العربية، الاستثمـار في اللغة العربية ومستقبلهـا العربـي والوطني والـدولي، كتاب المؤتمـر، ج٧، ط١، دبي، الإمـارات المجلس الدولي للغة العربية، ٢٠١٤، ص ٥٥١.

ولقد أكدت تجارب البلاد الناجحة في ترقية لغتها كالفرنسية والإسبانية والإنجليزية واليابانية مثلا أن الفضل يعود إلى السياسة الحكيمة لتلك الدول وحكامها، فاللّغة الفرنسية مثلا ما كان لها أن تصبح اللّغة الموحدة للشعب الفرنسي، وأن تصبح لغة العلوم، وهي اليوم لغة التدريس واللّغة الرسمية في كثير من البلدان المستعمرة وغيرها كالكبيك إلا بفضل سياسة دامت ردحا من الزمن، فكان ملوك فرنسا أنفسهم وابتداءً من القرن الخامس عشر، هم من سنوا سياسة ترقيتها وتعميمها تدريجيا؛ إذ بدأت بوصفها لغة خاصة بالملك، ثم انتقلت إلى النّخبة، وهكذا إلى أن فرضت نفسها في المجتمع.

فالواضح من خلال التجارب التي أشرنا إليها سابقا كالإنجليزية، والألمانية والفرنسية، أنها ما كانت لتكون لغاتها لغات العلم والتقنية إلا بالسياسة اللغوية التي تبنّتها، والقائمة على ترقية اللّغة القومية وهو الحال نفسه الذي تقتفي أثره بعض الدول التي كانت إلى عهد قريب لا تذكر وأصبحت اليوم ترنو لكي تكون لغتها من بين لغات العالم الأولى كتركيا وإيران التي تُرسِل البعثات من المُتفوّقين إلى الخارج للبحث العلمي لتترجم بحوثهم بعد عودتهم إلى الفارسية، فهي تحرص على لغتها حرصها على مذهبها علمًا أنّ الفارسيّة تُكتب بالحروف العربيّة، وتحوي ٦٠ ٪ من الألفاظ العربيّة؛ لكنها اليوم تحتل الرّتبة الرّابعة في الإنترنت، وتُتَرْجِم كلّ العلوم إلى لغتها من اللّغات الأجنبية، وتسعى أن تكون اللّغة العلميّة العالميّة الثّالثة بعد الإنجليزيّة والألمانيّة.

٥- تفعيل دور مؤسّسات التّرجمة:

إن أول سؤال يطرح هو هل هناك شروط موضوعية تسمح للاستثمار في اللّغة من خلال التّرجمة؟ قد لا يتطلب هذا التساؤل إجابة مريحة، لأنه لا يمكن الحديث في الوطن العربي عن شيء اسمه مؤسسة جامعة للتّرجمة، لأننا إذا أردنا أن تسهم التّرجمة ماديا في الاستثمار في اللّغة لا بد أن يكون للتّرجمة صفة المؤسسة

الاقتصادية التي تقـوم على إستراتيجية إنتاجية مبنية على السّعي إلى إيجاد قيمة سوقيــة معيّنة من أجل تحقيق إيــرادات، يمكن أن تسهــم في مشروعات استثمارية أخرى تعود بالفائدة على المجتمع.

لقـد أنشئت العديد من المراكز والمعاهـد والمؤسّسات في الوطن العربي، وباتت تــؤدّي دورا مهمــا في عمليــة الاستثمار، الأمر الــذي يسمح بتشكيل نــوع من الوعي بأهميــة التّرجمة وإزاحة غشاوة العمى التي لحقــت بعيوننا. غير أن الأمر لا ينبغي أن يبقــى في مستــوى إنشاء المشروع والأهداف الجميلة التــي تسطّرها، بل يجب أن تفعّــل وسائــل تجسيده نشرا وتسويقــا، فما ينتج من ترجمــات لا يصل إلى مكتبات العالم العربي، فينبغي على هذه المؤسّسات تجاوز البعد التثقيفي للتّرجمة إلى البعد الاستثمــاري في السياسة والاقتصاد، بحيث تصبح مصدرا للدخل فضلا عن كونها وسيلة تواصل، وانخراط المؤسّسات القائمة على التّرجمة في التّنمية المستديمة.

إن المؤسّسات المنتشرة هنا وهناك، في العالم العربي، هي صيغ مبسّطة لمفهوم المؤسســة الاقتصاديــة؛ لأنهــا لا تستند إلى معادلــة التعدد والشموليــة التي يضمن مبدؤهــا الاعــتراف بتعقيد مهمــة التّرجمة، والابتعــاد عن الفكــر التبسيطي الذي يجعلها تدور حول علاقة اسم بمسمى أو كلمة أجنبية بمقابل عربي. هذا فضلا عن أن النسبة العظمى مما يترجم مرتبط بالأفراد ولا تقوم به المؤسّسات الحكومية إلا بعض الاستثناءات. و من الواضح جدا أن جهود الفرد –على أهميتهاتظل قاصرة في مجــال حيوي يقع على عاتقه بناء صــرح الحضارات، ويستوجب بالضرورة اهتماما مؤسّساتيــا فاعــلا، والحــال أن الاهتمــام المؤسّساتــي الجاد بالتّرجمــة، يستوجب وعــي الحكومات بأن التّرجمة ضــرورة حضارية، وحرصها –نتيجــة هذا الوعيعلى أن تدخــل في برامجهــا التنموية بنــودا خاصة بالتّرجمة، مع مــا يتطلّبه ذلك بداية مــن إعادة النظــر في السياسة التعليمية وتأسيس البنيــة الأكاديمية اللازمة لتهيئة مترجمين أكفاء في مختلف فروع المعرفة، ومن تخصيص ميزانية مناسبة للتّرجمة

إلى العربيّة بالموازاة مع تكوين لجان من مفكرين كبار ومترجمين متخصّصين تسند لهم مهمة وضع قوائم الكتب التي يجب ترجمتها في مختلف المجالات، وفق إستراتيجية وطنية / قومية تحدد الأهداف في سبيل تدارك التأخر التاريخي ومسايرة الركب العالمي"[١].

ليس هذا الأمر من قبيل نفي صفة المؤسسة أو إنكار جهود هذه المؤسّسات العربيّة القائمة على أمر التّرجمة، ولكن لأن مفهوم المؤسسة يقتضي برنامجا يُشغل في ظروف يُسمح له فيها بالتّحقّق ويكون نابعا عن وعي ترجمي، يمكّن اللّغة أن تصبح جزءا من سوق الاستثمار. ونحن نرى المؤسّسات التي تقوم على تعريب المصطلحات كالمجامع اللغوية تصوغ القوانين وتقترح المقابلات دون أن يتم الترويج لها إعلاميا ولا أن توظّف اقتصاديا ولا تكون لها علاقة، لا بمؤسسات التّرجمة الأخرى ولا بالجامعة، ويمكن سحب هذا المعنى على كلّ المؤسّسات القائمة على التّرجمة التي لا علاقة لها بسوق العمل والاستثمار.

قد يعود هذا الإشكال إلى عدم وجود إطار موحّد تشتغل فيه المؤسّسات القائمة على التّرجمة والراعية للمصطلح؛ فما زلنا أسيري معوّقات تقوم على الصّراعات والتّنافس على الاختلاف في وضع المصطلح بدل توحيده؛ لأن الإنسان العربي لا يستطيع أن يفكّر إلا في إطار ثقل تاريخي وإيديولوجي متعب، على الرغم من أن العقل العربي عقل مؤهل للفعل التّرجمي شأنه شأن بقية الأمم، غير أن الإشكال يبقى مرتبطا بهذا العقل العربي إن كان مؤهلا لكي يستثمر ما تم تعريبه وترجمته. وسيكون طبيعيا أن الوعي الترجمي والعمل الموحد الذي يسعى إليه مكتب تنسيق التعريب بالرباط -مثلا سيفقد من كفايته إذا بقي في مرحلة الكمون، ولم يمرّ إلى ما يسمّى الوجود بالفعل الذي يترجمه الاستثمار الفعلي في الواقع، فليس هناك

(١) الترجمة إلى العربية الحديثة في المغرب: بين الفرد والمؤسسة، نشر في موقع العلم ليوم 2701– 2013 http://www.maghress.com/alalam/50918

قوانين ولا آليات تجعل هذا المكتب قادرا على إشاعة المصطلحات التي أقرها بين المؤسّسات الثقافية والاقتصادية والسياحة والإعلامية العربيّة نظرا لتعطّل سياسة التعريب في معظم البلدان العربيّة، وعلى الرغم أن المكتب ألحق بعد تأسيسه بالجامعة العربيّة سنة١٩٦٩، وتتمثل خطته استنادا إلى مقرّرات الجامعة العربيّة، بتوفير المصطلح العلمي العربي الموحّد لمراحل التعليم المختلفة: الابتدائي، والثانوي، والمهني، والتقني، والتعليم العالي(١).

ربما يتساءل متسائل عن رفع التعارض بين جهود المؤسّسات والنتائج في الواقع، فهناك في جميع أقطار الوطن العربي مراكز ومعاهد مثل المنظمة العربيّة للتّرجمة ببيروت، والمركز القومي للتّرجمة بالقاهرة، ومركز الأبحاث ودراسة السياسات بالدوحة، ومؤسسة الفكر العربي ببيروت، والمركز الوطني للتّرجمة بتونس، والمعهد العالي للتّرجمة بالجزائر، تسعى لتفعيل دورها، وهناك مؤسسات متخصّصة أخرى قطعت أشواطا كبيرة في مجال التّرجمة مثل مؤسسة التواصل للتّرجمة القانونية بدبي التي انطلقت في العام ١٩٩٦ على نطاق واسع بوصفها إحدى المؤسّسات الرائدة في ميدان خدمات التّرجمة التجارية، وتكرّس كل جهودها لتلبية الأهداف التجارية لعملائها وتجاوز توقعاتهم. وفي سبيل تحقيق هذه الغاية، طوّرت المؤسسة خدماتها على نحو متواصل لتوفير كوكبة متكاملة من خدمات التّرجمة ذات الكفاءة والدقة والسرعة في الإنجاز للمؤسسات القانونية، ووكالات الإعلان، والعلاقات العامة، والمصارف والمؤسّسات المالية، وشركات الكمبيوتر، وشركات التدريب، وغيرها من المؤسّسات الرائدة والأفراد في مختلف قطاعات الاقتصاد، وهي تترجم من وإلى ٦٥ لغة وتقدم للتّرجمة القانونية خدمات عالية الجودة في التّرجمة الترويجية والتسويقية لعملائها في قطاعي الإعلان والتسويق. حيث تقوم

---

(١) ينظر علي القاسمي، السياسة الثقافية في العالم العربي، مكتبة لبنان ناشرون / صائغ، ط١ بيروت ٢٠١٢ ص٩٥/٩٦.

أساساً بالتّرجمة من اللغة العربية إلى اللّغة الإنجليزية والعكس. كما تقدّم خدمات التّرجمـة الترويجيـة والتسويقية من الإنجليزية إلى ما يزيـد عن ٦٥ لغة من لغات العـالم الحية.كما تقوم بترجمة الأفـلام وأفلام الفيديو من اللّغـة الإنجليزية إلى اللغـة العربية، والعكس، وترجمة الأفلام وتحويـل النصوص من نصوص مسموعة إلى نصوصـ مكتوبة للعديد مـن المؤسّسات التجارية وغـير التجارية. واستطاعت بفضـل ذلك الحصول على حصة سوقية لا يستهان بها عالمياً حيث إنها تسد فراغا كبـيرا وتسهم في جلب المؤسّسـات التجارية الراغبة في تأسيسـ موطئ قدم لها في السـوق الناطقة بالعربيّة في الشـرق الأوسط. والمؤسّسات والشركات التي ترغب في إقامة علاقات ثقافية وتربوية قوية في العالم العربي[١].

لا شـك أن هنـاك مشروعات مستقبليـة تهتم بأمر التّرجمـة ومنها مثلا تلك التـي أسّستها الجامعة العربيّة بعد ما أصبح هناك وعي بأن التّرجمة رهان للتنمية والتواصـل فأسّسـت مراكز ومعاهـد ومنظمات تابعـة للجامعة يمكـن أن نعتبرها آليـات دفـع لفعل التّرجمة تندرج ضمـن إستراتيجية التفاعل مـع مختلف الشعوب والحضـارات تصديقـا لمبـدأ التعـاون الإسلامي، ومنهـا الجوائز والمنـح التي إلى جانـب تعزيزها لآليات الحـوار والتواصل، فإنها تعمل على توجيـه الآخر نحو اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وتصحيح نظرة الآخر لنا، ومثال ذلك، المنح التي تقدم كترجمة بعض الروايات العربيّة إلى اللّغة الصينية بقيمة مائة ألف دولار وهي منحة وجائـزة مقدمة من حاكم الشيخ زايد للتّرجمـة، وجائزة ابن خلدون للتّرجمة بين العربيّة والفرنسية، وجائزة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمية للتّرجمة التي أقيمت دورتها السادسة في جمهورية البرازيل الاتحادية، مما ساعـد على إقامة شراكات قائمة على الحـوار والتفاهم والثقة والاحترام المتبادل،

(١) http/www communicationdubai.com/ar/about-us .php. (نبـذة عـن المؤسسة)

والقيم الإنسانية المشتركة. وبعد سبع سنوات من انطلاقة هذه الجائزة العالمية فقد نجحت في إبراز أهمية التّرجمة من خلال توحيد دلالات المصطلحات والمفاهيم؛ لنشر ثقافة إنسانية مشتركة، تُقارب ما بين الشعوب،كما نجحت في استقطاب كبريات الجامعات والمؤسّسات العلمية والأكاديمية بجذب أفضل المترجمين من جميع دول العالم، للمشاركة والتفاعل مع أهداف الجائزة للمساعدة في تنشيط حركة التّرجمة العالمية، من اللغة العربية وإليها؛ ودعم فرص الحوار الفاعل وتعزيز التواصل المعرفي بين الدول والشعوب. ودلالة ذلك الإقبال الكبير عليها، الذي يعكسه حيازتها مصداقية المبدعين وثقتهم في نهجها، حيث استقبلت خلال الدورات السابقة والحالية ٨٦٩ مشاركة من ٥١دولة، في مختلف الفروع بـ ٣٦ لغةً[١].ولعل في هذه الأرقام ما يدل على أهمية مثل هذه المشروعات التي تقوم بها بعض الحكومات العربية. الأمر الذي يدعو إلى ضرورة الإفادة من الشركات الأجنبية المتخصصة في الترجمة إلى اللغة العربية، والبرمجيات، والتعاون المثمر بين المؤسسات من قبيل تعاون مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية مع المنظمة العربيّة للتّرجمة من خلال دعمها لإصدار ثلاثة وثلاثين كتاباً في أحد عشر مجالاً علميًّا، بدءًا بالكيمياء والعلوم الجينية ونهاية بالعلوم البترولية عام ٢٠١٠، وقد أُنجز المشروع نهاية عام ٢٠١١. ثم عاودت دعم تسعة كتب في عام ٢٠١٣، تم إنجاز ٧٠٪ من المشروع. والآن في عام ٢٠١٤ دعمت المنظمة بثلاثة كتبٍ أساسية في الرياضيات والفيزياء والتكنولوجيا. فهي بحق أكبر مؤسسة دعمت المنظمة العربيّة للتّرجمة، فالمدينة حققت خلال ثلاث سنوات ونيف من الأشهر مع المنظمة ما لم تتمكن من تحقيقه حكومات عربية كبيرة في مجال التّرجمة ونشر الوعي البحثي والمعرفي والعلمي.[٢]

(١) صحيفة الرياض الأربعاء١٨ ذو الحجة ١٤٣٤ هـ ٢٣ أكتوبر ٢٠١٣م العدد ١٦٥٥٧نقلا عن موقع: http://www.alriyadh.com/877701

(٢) هيثم الناهي: مدير المنظمة العربية للترجمة في حوار معه، التقدم المعرفي يبدأ أولاً من حركة الترجمة، عن موقع: www.majalla.com

وهــي الطريقة نفسها التي اتّبعهــا المركز القومي للتّرجمة من خلال العلاقات والتّعــاون التــي يحدثهــا مــع المؤسّسات العربيّــة والعالميــة فهو يتعــاون -ولو بشكل محدودمــع مؤسّســات ودور نشر مصرية كـوزارة الاستثمــار، ودار الكتب والوثائق القوميــة، والهيئة العامة للكتــاب، ودور نشر عربية (كـدار الآداب، ودار الفارابي، ودار الساقــي في لبنان)، ومع مراكز ومعاهد ثقافية أجنبية في مصر (معهد جوته، المعهد الثقــافي الإيطالي، المركز الثقافي الفرنسي، معهــد ثربانتس "المركز الثقافي الإسبــاني"، المركز الثقافي الإيريتري، المعهد الدانماركي المصري للحوار، مؤسسة بروهلفتسيــا السويسريــة) بالإضافــة إلى التعاون مــع مؤسسات مــن خارج مصر (مؤسسة نورلا "النرويج"، مؤسسة فورد، المركز الكوري للثقافة العربيّة والإسلامية بكوريــا، مركز معلومات الأدب السلوفاكي، مؤسســة الأدب عبر الحدود. والمركز لا يصدر أي كتاب إلا بعد الحصول على حقوق النشر؛ ولهذا يتعاون مع عدد كبير من دور النشــر حــول العالم، أهمها الــدور التابعة لجامعات مثــل أكسفورد، كمبريدج، كاليفورنيــا، شيكاغو، كولمبيا، ييل، أدنبره، الجامعة الأمريكية بالقاهرة، بيرسوس، برينستون، وكذلك دور النشر الشهيرة الفرنسية والإنجليزية والإيطالية.[١]

(١) موقع وزارة الثقافة المصرية: www.moc.gov.eg

المبحث الثاني: آليات الاستثمار وسلّم الأولويات

لا شـك أن هنـاك أولويـات توجّـه العـالم المعاصـر، وتتعلّق أساسـا بالجانب الاقتصـادي الذي يوجّه طـرق الاستثمـار، وإذا كانت التّرجمة هــي عامل أساسي مــن عوامل بناء مجتمع المعرفـة الذي تكون فيه العمالة مشمولة معرفيا، فهي قطب الرحى في عمليـة الاستثمار البشري بواسطة اللّغة وتطويـر المشروعات التي تخدم اللغـة العربيـة، كمـا أن التّرجمة تمثـل جزءا مـن الرأسمال البشـري الذي يشمل مجمـوع المعارف و المهارات والخبرات، وكل القـدرات التي تمكّن من زيادة إنتاجية العمـل، وعندما يتحقّق هذا نكـون أمام ما يسمّى بالرأسمـال الفكري الذي يعرّف بأنـه "الإجمالي المجتمع من المعرفـة، والمهارات، والقدرات التـي يمكن أن تمتلكها المنظمـات وتوجّههـا نحو الإنتـاج البناء، كما يعرفهـا توماس ستيـوار "بأنها المواد والممتلـكات الذكية، والمعرفـة والمعلومات والخبرات، التي يمكـن أن تستخدم لخلق الثروة"[١]. والاستثمـار في اللغة العربية من خلال التّرجمة يجد أولويته الكبرى في المدخـل الأساس للاستثمار وهو الجانب الاقتصـادي المالي والتجاري ويتمثل في ما يأتي:

١-الانخراط في الحاسوبية باعتبارها خادمًا للتّرجمة :

لقـد أسهـم اللغويـون العـرب المعاصـرون في تطويـع تقنيات الحاسـوب للغة العربيّـة، مستفيدين من نتائـج الدراسات اللغوية العربيّـة في التراث، واستحدثت

---

(١) الهادي بوقلقـول، الاستثمار البشري وإدارة الكفاءات كعامـل لتأهيل المؤسسة واندماجها في اقتصـاد المعرفة، جامعة ورقلـة كلية الحقوق والعلوم الاقتصاديـة الملتقى الدولي حول التنميـة البشرية وفرص الاندمـاج في اقتصاد المعرفة والكفـاءات البشرية ٠٩-١٠ مارس ٢٠٠٤ .

عدة تصاميم وآليات لحل كثير من الإشكالات ذات العلاقة بملاءمة نظام الحاسوب للغة العربيّة، سواء ما تعلق بإشكالية الحرف أو طبيعة تركيب الكلام العربي، غير أننا لم نبلغ بعد باللغة العربية فعليا مرحلة ما يسمّى التّرجمة الحاسوبية، التي يلعب من خلالها "علم اللسان الرياضي دورا مهما ببحثه عن علاقات متشابهة بين اللغتين المراد ترجمة إحداهما إلى الأخرى، بعد قيام الحاسوب، عن طريق تقنية المسماة بـ"مترجمات ذات المستوى العالي" high level translator بتحويل المعلومات الابتدائية التي تدخل إليه بإحدى اللغتين (input) إلى محول ثان يسمى binary converting، ثم تدخل بعده في ذاكرة الحاسوب بشكل رموز، ثم تخرج منها بعد عملية تحويل أخرى إلى لغة أخرى غير لغة الدخل (input) شرط أن تكون اللغتان مبرمجتين معا"(١).

تلعب التقنية المعلوماتية –إذن دورا مهما في ترقية الاستثمار من خلال التّرجمة، فبقدر ما يكون هناك استثمار للتقنية الحاسوبية، يزداد النشاط المصطلحي، والسرعة في العمل الذي تكون به المؤسّسات القائمة على التّرجمة قادرة على استغلال الوسيط المتمثّل في الحاسوب الذي يسمح بالتطوّر المصطلحي وثرائه، ووجود وسائل ضخمة للتّوثيق بإنجاز الأنظمة الخبيرة والبرمجيات باللّغة التي تستمد منها المصطلحات والمعلومات.

ومجال الحاسوبيات في الوطن العربي على الرغم من التّطوّر الحاصل في استغلاله في بعض البلاد العربيّة كدول الخليج، إلا أن عدم وجود قواعد أسس عربية قادرة على تمكين الأجهزة من أداء وظيفتها والرقي بالتّرجمة ومن ثمة باللغة العربية، يجعلنا نبقى في مرحلة لم تستطع فيه الحاسوبية بلوغ أنظمة الخبرة المطلوبة؛ لأن وظيفة الحواسيب –عندنالم تبلغ بعد هذه المرحلة، ولا زالت تؤدي

---

(١) حافظ إسماعيلي علوي، ووليد أحمد العناني، أسئلة اللغة. أسئلة اللسانيات، حوار مع مازن الوعر ص١٤٠.

دور الحاسب والمخزن للمعلومات والفهارس المكتبية، أو هي في أحسن الأحوال تقوم بعمليات مساعدة للعنصر البشري كتسهيل الحصول على المعلومة والسّرعة في الأداء، دون أن يكلّف الحاسوب بعمليات يقوم بها العنصر البشري مثلما هو الأمر في الدول المتقدمة، فلا يزال مثلا توليد المصطلح في المجامع العربيّة حكرا على العنصر البشري، ولعل هذا الأمر راجع إلى الفجوة الرقمية الحاصلة بين الشمال والجنوب، ولا نملك إحصاءات دقيقة عن دور الحاسوبية التي تستعين بها الشركات والمقاولات الكبرى في مجال النفط –مثلاما دامت اللغات الأجنبية هي الوسيلة، ومن ثمة، فأي حديث عن هذا الدور يبقى مجرد احتمال من الممكن أن يتحقّق إذا ما تغيّر الوضع اللغوي العربي وتحقّقت سياسة لغوية حكيمة وتخطيط فعال، وإنشاء مشروعات ترجمة تستثمر في خدمة اللغة العربية، وأهمها التّرجمة الآلية التي هي نتيجة للتّعاضد المثمر بين الحاسوبيات والتّخطيط اللغوي الناجح.

بالنسبة للتّرجمة الآلية، يعترف كثير من الدارسين أن للتّرجمة الآلية دورا كبيرا في استيعاب المعطيات الضخمة، نظرا لعلاقتها بتقانات اللّغة، وبالحاسوبية؛ لأنه لا يمكن –في مجال الحوسبة أن يتم استيعاب الكم الهائل من المعطيات الضخمة، وإدماجها في عملية تحويل المعلومات إلا من خلال التّرجمة، التي يمكن أن تتكيّف مع تنوّع المعطيات واختلافها، والسّرعة في وصول المعلومات وتدفّقها الذي قد يبلغ فيه معدّل التغريدات الواردة في اليوم إلى ١٤٠ تغريدة، مثلما هو الحال في موقع تويتر، وبالتالي فإنه لا يمكن الاستغناء عن التقانات اللغوية، في معالجة المعطيات، وتصنيفها، وذلك بواسطة برمجيات متنوعة، جلّها يستعمل في مجال المعالجة الآلية للغات الطبيعية. وإذا كانت المعلومات متوافرة بلغة أجنبية تترجم إلى اللغة العربية، وبعدها تُستغلّ هذه التّرجمة لإنشاء متن لغوي مصفوف ومصنّف بحسب كل جملة مع التّرجمة المكافئة لها، وهذا يمكن من استخراج مصطلحات وإنشاء مسارد، وقواعد بيانات غير أن الواقع الرقمي العربي يبدو بعيدا عن هذا المسعى، ففي الوقت الذي تسمح فيه هذه التقنية في التّرجمة الآلية بالتنبؤ بالتوجهات التجارية،

وإمكانيــة رصد أحاسيس العملاء، والأفراد وبالتــالي رصد أفكار المجتمعات، نجد أن نظــم التّرجمة الآلية لا تتعدّى بعضــ المشروعات لبعض المراكز وبعض المبادرات الفرديــة [1]. وإن تبنــي سياسة عربيــة شاملة وموقف رسمي تتّخــذه الدول العربيّة وحكوماتهــا لدعم البحــوث في مجال المعالجة الآليــة للغة، والتخطيط لهــا بإنشاء برمجيات، أثبــت العقل العربي، وخاصة المهاجر منه، أنه قادر على إنشائها، يجعل الاستفادة من هذه الكفاءات أمرا حتميا لاستغلال المعطيات وترجمتها لخدمة اللغة العربيــة، في ظل إدارة الكترونية تستطيع بفضلها مختلف القطاعات الحكومية، أن تقيــم علاقــات تعاونية فيما بينها مــن أجل تحقيق الخدمات بينهــا وبين المواطنين وقطاعات الأعمال عبر الشبكة.

غير أن الوضع القائم لا يبشر بتواصل حقيقي واستثمار فعال في اللغة العربية، مــا دام مستخدو اللغة العربية والمترجمون منهــا وإليها لا يستندون إلى مصطلحية موحّــدة والعمــل على استثمارهــا وفق ما تقتضيــه معايير التواصــل. وإن حدث أن استعــان المترجمــون بهذه القواميســ الموحدة ثنائيــة اللّغة التي تصــدر عن مكتب تنسيــق التعريــب مثلا، فإن هناك مشــكلات يطرحها بطء الطريقــة التي يتّخذها مســار جمع المصطلحات من المجامع اللغوية حتى تصل إلى المكتب، ليتمّ توحيدها، وكذا نقصــ المتخصّصين في مختلف العلوم والتكنولوجيــات الجديدة التي تتسارع وتيرتها، الأمر الذي يعطّل عمل المترجم الذي لا يستسيغ فكرة أن يتحوّل في مرحلة معينة من عمله إلى مصطلحي. ولذلك فإن الأمر مع التّرجمة الآلية يفرض شروطا أخــرى، مرتبطة، بتطوّر الحاسوبية والــذي يفترض تطوّرا في تخزين المعلومات وفي المصطلحــات المتخصّصــة، حتى نصــل إلى سياســة لغوية عربية حكيمــة وفعالة، تسهم في صناعة البرمجيــات التي تشكّل اليوم مفتاح التّحكم في التّرجمة بمختلف

(١) يراجــع: وفاء بن تركي، المعطيــات الضخمة big data تحدّيات الانفجار المعرفي وعلاقته باللغة، كتاب المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، دبي، ص٦٣١/٦٣٢.

أنواعهـا حتـى الأدبية منها، ذلك أن النظر في أصالة النتائج المترتبة عن إنتاج هذه البرمجيـات وفوائدهـا المعرفية والاقتصادية، في العالم يؤكـد أن الاستثمار فيها لا يسمـح فقط بفهم متطوّر للعلاقـة القائمة بين مجالها المعـرفي والتّقني أو المعارف المتحوّلـة والمدمجـة فيها، فحسب؛ بل تسمـح للمنتج بأخذ تصور أفـق أكثر اكتمالا واتساعا للتّرجمة يمكّنه من إرضاء متطلبات السياق الدلالي للنص المترجم[1].

ومهمـا كـثرت الاقتراحـات بخصوص إمكانية الاستفـادة مـن التكنولوجيا الجديـدة في مجـال التّرجمة سـواء في توفير الجهـد والسّرعة لمعالجـة النصوص والإسـراع في تداولها والترويج لهـا، أوفي استغلالها لاعتماد طرائق تعليمية جديدة وفعالـة تسهم في تأهيـل المترجمين في مجال التّرجمة التحريريـة والفورية والسّمع بصريـة من وإلى اللغة العربية، فإن الإشكال لن يحلّ إلا بخطة عربية لإعداد لغوي لا يمكـن أن يتـم التّوصل إليه إلا إذا وصلت الـدول العربيّة إلى تغيير الوضع اللغوي السائـد، ما يمكّن مـن تفعيله في الواقع وجعله آلية استثمـار حقيقية وليست مجرّد تلفيق. وكنّا فيما سلف من صفحات هذا البحث، قد تحدثنا عن الموجّهات والمداخل الأساسية، وإذا ما تحقّـق ذلك، فلن تتسارع وتيرة وضع القواميس والمسارد، وتكثر نسبـة المتخصّصين والمترجمين فحسب، بل يتشـكّل وعي مصطلحي يجد تفعيله في الواقـع التعليمي بإدماج هذه المصطلحات الموحّـدة في التدريس في الجامعة للطلبة المؤهلـين في تخصّصاتهـم في المستقبل، و تمكّنهم بعد ذلك مـن "التعامل مع فراغ مصطلحي بمـوارد لغتهم الخاصـة، والإسهام في تقوية حيوية لغـة بإستراتيجيات أكثر ملاءمة من التي تنحصر في تعويض المصطلحات المفترضة الموجودة سلفا"[2].

إن تنشيـط عمل مراكز التّرجمـة والتّرجمة الفورية ومعاهـد التّرجمة، يعني العنايـة بتهيئة الكـوادر المؤهلة و المدرّبـة وتخريجها وفق منهجيـات التكنولوجيات

(1) Marie de Besses, Les logiciels libres : une communauté fertile en innovations et apprentissages / Grenoble : IREPD -Paris 1999 p 237.

(٢) ماريا تيريزا كابري، المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، مرجع سابق، ص ٧٨.

الجديدة، فيتم تزويد السوق العربيّة والدولية بمترجمين، مثلما هو الحال في الغرب حيث تمّ إنشاء مراكز ومعاهد متخصّصة في هذه الأشكال المختلفة كالتّرجمة الفورية، والإلكترونية، والسمع بصرية، وغيرها كالمدرسة العليا للتّرجمة والتّرجمة الفورية في جامعة السوربون في باريس، ومدرسة التّرجمة الفورية في جنيف، وكلية التّرجمة الفورية في جامعة ويست مينستر في لندن، وبما أنها مستقلة عن كليات الآداب واللغات التي تولت المهمة التقليدية للتّرجمة، فإن ذلك سيسمح في خلق منافذ أخرى للتّرجمة على المجتمع.

إن قياس درجة انخراط العرب في التكنولوجيات الجديدة، يقاس بوضع اللغة العربية في مجال تقنيات الحاسوبية والاتصالات التي تعاني من فقر تقني وعوز معلوماتي واضح، إلا في بعض المبادرات المعزولة التي حاولت استثمار تطبيقات التقانة بطريقة جيدّة، وإذا تم التّسليم بأن تقدّم أي لغة يرتبط بمن يشتغلون بها، وأنه يمكن لأي لغة مهدّدة بالاندثار أن تعود إليها الحياة وتلتحق باللغات الحيّة، إلا إذا تمّ الاستثمار فيها، من خلال التّرجمة والحوسبة وجعلها لغة التعليم والاقتصاد والسياحة والإدارة والتّجارة والبنوك، أمكن لنا أن ندرك أنّ ما يسمى الفجوة الرقمية بين اللغة العربية واللغات المهيمنة هو ذريعة العاجزين أو التبّع المعترضين على أن تكون العربيّة لغة متطوّرة. ومن هنا لا بد من التفريق بين أن تكون اللغة العربية موضوع نظر وأن تكون موضوع عمل واستثمار. فالجهود في الشق الأول لم تتوقّف، والمشتغلون في اللّغة من علماء اللسانيات العربيّة، بذلوا جهودا مضنية في تحويل علم اللسان المعاصر إلى اللغة العربية، وأصّلوا بما استطاعوا أن يثوّروا به التراث اللغوي العربي ويعرّفوا به في الجامعات الغربية، وقد قاموا ويقومون بهذه الوظيفة على أحسن وجه، ولعل المعرفة الوحيدة التي يمكن أن نقول أن العرب عكفوا على البحث فيها، وتطوير اللغة العربية بوساطتها، بطريقة جادة وجدية

هـي المعرفـة اللسانية[1]. ولكـن يبقى الإشـكال واقعا في الشق الثـاني من القضية والمتعلـق بمن يتولى مهمـة أن تكون العربيّة موضوع عمـل واستثمار، وهو أمر لا يتم إلا من خلال سياسـة ترجمية وحوسبية يشتغل بها مترجمون ومهندسون ولسانيون وتقنيـون على العربيّـة باعتبارها موضوعا استثماريا يقوم علـى المعالجة الآلية لها وحوسبتهـا والتّرجمة إليها. ولعـل الخطوة الأولى التي تسير في الاتجاه السّليم فيما لـه علاقة باستثمار البحث اللساني في خدمـة اللغة العربية، مثلما يرى ذلك العالم اللساني مازن الوعر "بدأت في المملكة العربيّة السعودية، من خلال إنشاء ما يسمّى "كليـة الأمير سلطان الأهلية"، حيـث تم إنشاء ثلاثة أقسام متجانسة: الأول يسمى بقسم اللسانيات التطبيقية) التربوية(والثاني: يسمى بقسم اللسانيات الحاسوبية المعلوماتية) معالجـة العربيّة ولغات أخرى حاسوبيـا(والثالث يسمىّ قسم التّرجمة من العربيّة وإليها"[2]. ولعله الأمر نفسه الذي يسير فيه المركز التقني لتطوير اللّغة العربيّة بالجزائر.

وإن الانخـراط الفعلـي لهـذا النـوع مـن المؤسّسـات الحكوميـة العربيّـة في السياسـة اللغويـة، ومشروعات التّرجمـة، سيؤدي إلى خلق مهـن جديدة في مجال لغـات التخصّص، وعلم المصطلـح، وبنوك المعلومات التي تتزايـد بتزايد مجالات التّرجمة، وإذا وضعنا في الاعتبار التطوّر الحاصل في مجال الحاسوبيات، فإن هذا الأمـر سيساعد على تطوير صناعة اللّغة وخاصة المصطلح، وإعداد المعاجم وهو ما يستوجـب إعادة هيكلـة المجامع اللغوية، وترشيد دورهـا في الإجابة عن الحاجيات الأساسيـة للتواصل التي تفرضها التحوّلات الاجتماعيـة في ظل تكنولوجيا الإعلام والاتصال الجديدة.

---

(١) نذكـر في هذا المجـال أعلام اللسانيـات العربية في المشـرق والمغرب أمثـال رمضان عبد التـواب، تمام حسان، مازن الوعر، أحمد المتوكل عبد الرحمان الحاج صالح، عبد السلام المسدّي، الفاسي الفهري، وغيرهم من علماء اللسانيات العربية المعاصرة .

(٢) حافـظ إسماعيلي علـوي، ووليد أحمد العنـاني، أسئلة اللغة. أسئلـة اللسانيات، حوار مع مازن الوعر، ص١١٥.

إن حوسبة اللّغة يشمل عدة آليات، وفي الإعلام الآلي يعدّ التوثيق رافدا مهما للتّرجمة باعتبارها تشكّل معطيات لوصف الوثائق، وذلك من أجل الوصول إلى المعلومة، واسترجاعها من ملفّها الرقمي وقت الحاجة، ولقد سعت الجامعة العربيّة إلى العمل على تجسيد مشروع الذخيرة العربيّة الذي اقترحه المركز التقني لتطوير اللغة العربية بإشراف العالم اللساني عبد الرحمن الحاج صالح، وكان ثمرة لمشروع الرّصيد اللغوي العربي الذي نشأ وتطوّر في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي بين الدول المغاربية الثلاث) الجزائر تونس والمغرب(، ثم تبنّته الجامعة العربيّة في بداية الألفية الثالثة بشكل يتماشى مع التكنولوجيات الجديدة، ويقوم على رقمنة المعلومات الخاصة باللغة العربية عبر العصور، ليشكّل قاعدة بيانات ومعطيات وثائقية عامة تشمل معطيات مصطلحية وغيرها، وذلك من أجل فهرسة تراث اللغة العربية المكتوب وحتى الشفهي بحيث يتم استثمار مصطلحات اللغة العربية وتوظيفها في صناعة المعاجم والإسهام العربي في تبادل المصطلحات والحضور الفاعل في المنظمة الدولية لتوحيد المعايير.

إن حوسبة اللّغة ينبغي أن تكون جزءا من النشاط العلمي والاقتصادي للغة العربيّة، أو ما يسمى بصناعة اللغات التي يتبّنى القائمون عليها إستراتيجية تجارية للمنتجات اللسانية، وما البرامج المختلفة التي تتداول حول التّرجمة والمصطلح وغيرها مما له علاقة وطيدة بالمهن التي ظهرت جراء الاستثمار في اللّغة إلا دليلًا على وجود حاجات جديدة تفرضها علاقة اللّغة بالتكنولوجيات الجديدة، وتعمل على تسخير منافذ تجارية تسهم في إنشاء مهن جديدة، تتكاثر يوما بعد يوم. ينبغي على البلدان العربيّة أن تسرع في إحداث مشروعات للاستثمار فيها، كالتّرجمة التحريرية والفورية. وخاصة التّرجمة الآلية التي يعدّ الاستثمار من خلالها نتيجة لتطوير البحث في علم الإلكترونيات الذي لا يتوقّف عند "الاكتفاء بإنتاج بعض الأدوات والبرامج التي تعالج اللغة العربية جزئيا، مثل برامج القواميس الإلكترونية والتدقيق الإملائي، وبرامج القواعد والتشكيل والصرف، فالتّرجمة الآلية تتطلب

أكثر من ذلك بكثير، فهناك أيضا عمليات التحليل الدلالي والنحوي والصرفي، وعمليات نقل معاني وبنى الجمل العربيّة إلى ما يقابلها في اللغات الأخرى"(١)؛ وهذا من شأنه ألا يسمح بإعطاء التّرجمة الآلية طابعا مستقلا عن العلوم الأخرى، لأنها نتاج تقاطع عدة حقول معرفية كاللسانيات الحاسوبية ونظرية الذكاء الاصطناعي، والرياضيات وعدة برامج وأنظمة تقنية.

ومن هنا، ينبغي إدراك الدور الذي يولى في الغرب للتّرجمة الاحترافية والدور التكاملي للعنصر البشري فيها، وهناك مراكز بحث متخصصة في التّرجمة الآلية الإحصائية التي أفادت من القوة الحسابية للحواسيب المعاصرة، ومن الخوارزميات والتعلم الآلي، فانتشرت القواميس الإلكترونية مزدوجة اللّغة. وإذا أخذنا في الاعتبار انعدام هذا النوع من الاستثمار في العالم العربي، فإن الاستفادة من المكاسب والإنجازات التي تحقّقت في أوربا وكندا سيكون بالضرورة إحدى الأدوات الأساسية لمنهجية التدريس الترجمي؛ لأن المترجم المحترف قد أصبح هدف المستثمرين في هذا المجال من المشروعات. وكل الأهداف المعلنة هي العمل على تطوير تكنولوجيا تسمح للحاسوب بالتّرجمة من لغة إلى أخرى، بهدف مساعدة المترجم البشري على مضاعفة إنتاجه الترجمي في الميادين المعرفية المختلفة.

٢- خلق شبكات تعاون في مجال البرمجيات:

إن الأحادية اللسانية التي خلقها التوجّه العالمي نحو اللّغة الإنجليزية، باعتبارها لغة التواصل بين الدول في مجال التكنولوجيا والاقتصاد، وابتعاد الأمم الأخرى عن لغاتها الأم وتحييدها من مجال التداول، بحيث انعكس ذلك على وضعيتها بين أبنائها، كما هو الشأن مع اللغة العربية، قد خلق نزوعا إلى اللغات الأخرى واتخذت عدة إجراءات إلى تطويرها وإعادة الاعتبار في سياسات الدول،

---

(١) عبد الله حميد الحميدان، مقدمة في الترجمة الآلية، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م ص٦/٧.

والحرص على استعمال لغاتها القومية في التواصل العالمي، واللغة العربية لها من المؤهلات ما يمكنها من أن تتجاوز هذه الهيمنة ويخرج العرب من التوحيدية إلى التعددية، نظرا لعدد البلدان العربيّة الناطقة بها، إضافة إلى الدول الإسلامية غير العربيّة، وتوافرها على مصادر الطاقة البترولية الأهم في العالم، ومن ثم فإن جزءا كبيرا من الاقتصاد العالمي المرتبط بهذه الطاقة يفرض إجراءات عملية لتطوير الهوية اللغوية للمجموعة العربيّة، تبدأ بتعاون إقليمي عربيعربي، لتتحوّل إلى تعاون دولي، يقوم على: "تبادل المعلومات البيبليوغرافية والعملية، وإنجاز مشروعات في المصطلحية المطبقة (إنجاز معاجم متعددة اللغات وبرمجيات مصطلحية وقواعد معطيات، وآليات أخرى تهدف إلى تسهيل الوصول إلى الوثيقة)، وتكوين المصطلحيين، وعمليات الترويج والتطوير اللغوي"[1].

والواقع أن هناك شطرا كبيرا من هذه الإجراءات متوافر لدى العرب، فالمجامع العربيّة مثلا متعددة اللغات، ومن هنا يتعيّن إيجاد مشروعات لتحقيق هذه الأهداف مثل تفعيل شبكات التعاون بين الاتحادات الإقليمية من جهة كاتحاد المغرب العربي، ومجلس التعاون الخليجي، وخلق شبكات تعاون مع شبكات التعاون في البلدان الإسلامية، وشبكات عالمية أخرى، كشبكة ARABTERM ، وهي قاعدة مصلحة في الأمم المتحدة للمعطيات المصطلحية المتعددة اللغات، ويسعى التعاون إلى تطوير التّرجمة وعلم المصطلح وتكوين مصطلحيين. ومتخصصين في برمجيات التّرجمة على غرار ما هو مستعمل على نطاق واسع في الدول الغربية منذ منتصف الثمانينات من القرن الماضي وإلى يومنا هذا كنموذج Trados وقد اخترع في ألمانيا، وMultitrans وقد اخترع في كندا سنوات بعد ذلك. وهذه البرمجيات هي التي أفرزت مختلف الدراسات والبحوث واستهلاكها، وفتحت المجال لظهور عدة نُظم للتّرجمة مغايرة (سيستران، ويدنير، باهو، أريان، لوغوس...) وكذا

(١) ماريا تيريزا، المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، مرجع سابق، ص٣٨.

عـدة محرّكات للتّرجمة مثـل REVERSO فأصبحنا نسمـع بـ"الإبحار الصوتي"، و"التّرجمـة الفوريـة الآليـة"، و"التّرجمـة الآليـة للـكلام"، و"التّرجمـة الفورية الهاتفية"، و"نظام التّرجمة التخاطبية(SPEECH TO SPEECHTRANSLA-TION SYSTEM)ونُظم التّرجمة في الزمن الواقعي(AUTOMATED REAL-TIME TRANSLATION)[1].

إن هـذا التعاون في مجال البرمجيات، من شأنه أن يخلق مراكز وهيئات إقليمية بحسب مجالات التعاون الترجمي في الوطن العربي، من أجل إحداث حراك فعلي يجعل نصـب عينيه المجالات الاقتصادية كالتجارة والسياحـة والبنوك والصناعة، والتعليم والبحث العلمي وغيره، ويسهم في تطوير صناعة البرمجيات في الوطن العربي.

٣- الاهتمام المنظّم بالمصطلحية الموجّهة نحو التّرجمة:

لا شـك أن الغرب قطع أشواطا كبـيرة في مجال الاهتمام المنظم بالمصطلحية داخـل الدول الأوربية، واتسـع مجالها ليمتد إلى الفضـاءات الجغرافية التي كانت مستعمرات فرنسية أو إسبانيـة أو ناطقة بلغاتها ككندا، وأمريكا الجنوبية، وشمال إفريقيـا، ولقد كان لهذا التيـار الترجمي أثر كبير امتـد إلى الصين واليابان وكان منبـع الأعمال التي أنجزت في الهيئات الدولية المتعدّدة اللغات (المجموعة الأوربية، والفاو والأمم المتحدة واليونسكو)، وهذا التيّار هو أيضا منبع خلق بنوك مصطلحية (تيرميـوم للاتحاد الأوربي، وبنـك الحكومة الكيبيكية وغيرهـا)، وحري بالبلدان العربيّـة أن تسعى إلى خلق هيئات تعمل على تطويـر المصطلحية وتنظيمها لتتوسّع إلى الـدول الإسلاميـة النّاطقة بغير العربيّـة، والدّول التي لها علاقـات تجارية أو توجـد فيها جاليات عربية، أو مواطنون من أصول عربية كما هو الشأن في البرازيل مثلا.

---

(١) عبد النبي ذاكر، الرهانات الاقتصادية للترجمة الآلية، علامات، العدد ٢٤ المغرب ٢٠٠٥، ص ٨٩.

إن هذا السعي ينبغي أن يواكبه التخطيط اللغوي اللازم المستوحى من التجارب الناجحة المطبقة في العالم، وخاصة إندونيسيا، وماليزيا، ويتبع النّشاط المصطلحي فيهما هدفين اثنين، هما: تشجيع اللّغة، الوطنية والتطور الاقتصادي، حيث تسهر لجان علم المصطلح على تطوير المفردات التقنية والعلمية الموجّهة للتعليم[1].

هناك، إذن ضرورة ملحّة لهيكلة نظام التّرجمة في الوطن العربي، بتحديد طبيعة القائمين عليها، وضبط تخصّصاتهم من مهنيي اللّغة وتقنيين ومهندسي الإعلام الآلي، وغيرهم من المتخصّصين المهتمين بالجمع والوصف والمعالجة وخلق المصطلحات (مصطلحيون ومعجميون، وأخصائيو التخطيط (الإعداد اللغوي) وأخصائيو معالجة المعلومة (الموثقون)، ومن شأن هذه التّخصّصات وغيرها أن تخلق وظائف في مختلف المجالات السياحية والتجارية والبنكية وغيرها؛ ذلك أن التّرجمة لا تكون مربحة إلا إذا أسهمت في تكريس صورة إيجابية للغة العربيّة والمؤسسة وتسهم في التواصل الجيّد مع الشركاء المحلّيين أو الأجانب؛ فالتّرجمة سلاح تجاري، وعلامة على حسن النية مع اللّغة ومع المتلقي في الوقت نفسه، وهي فعل جاد في إقامة سياسة تواصلية فعّالة. وإذا لم تكن التّرجمة في بلد جزءا من سياسته، من الصعوبة بما كان جعلها موضوع استثمار. ويكون وضعها هذا نتيجة طبيعية لوضع اللّغة في ذلك البلد.

وبذلك تكون حركة التّرجمة حركة هادفة بناءة تسير نحو تحقيق أهداف مرسومة من قبل المراكز العلمية القائمة على هذه المهمة الحضارية النبيلة. وهذه الخاصية في التّرجمة من شأنها أن تخرجها من الحركة الانفعالية والاضطرارية التي تصدر بدوافع غير موضوعية، تكون فيها حركة التّرجمة مبنية على العشوائية وتنبع عن إحساس بضعف في الذات والتهافت على منجزات الغير والانبهار بها،

(١) يراجع ماريا تيريزا كابري، المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، مرجع سابق، ص١٧/١٩.

الأمــر الذي أوقعها في إشـكالات علمية لها آثار سلبية على العلـم والمعرفة[1] وعلى الاقتصاد والمجتمع.

٤-ربط التّرجمة بالصناعة البترولية:

يمتلك العــالم العربي مؤسســات بترولية ومقاولات كـبرى، تحتوي على بنوك مصطلحــات داخليــة لكنها تتوزّع بــين اللغتين الإنجليزية والفرنسيــة، وينبغي على الشــركات والمقاولات التابعة لنشاط البترول والغــاز في العالم العربي أن تسهم وفي إطــار تخصّصها والبحوث التي تجريها ميدانيــا، في سياسة التّرجمة، وذلك بخلق تعــاون مع الجامعات والمؤسّسات القائمة على التّرجمة ووضع المصطلح والاستفادة مــن توحيده لإنشاء مشروعات تعمل على إنشاء برامج تقوم بجمع المعلومة الخاصة بالتخصّصــ وتصنيفها، وترجمتها إلى اللغة العربية، وإدماج الباحثين للإسهام في التّرجمــة التحريرية والشفوية وفي التوثيق. وتعمل بالمــوازاة مع مؤسسات التّرجمة علــى وضع بنك المعطيات الاصطلاحية البتروليــة ومشتقاتها، وتعريب مصطلحات الصناعة البترولية، بل يجب على الحكومات العربيّة أن تعمل على وضع برامج كبرى في ترجمة المصطلحات بهدف تعريب الشّــركات البترولية العربيّة. وإنشاء وحدات إدارية خصيصا لترجمــة المعاهدات والاتفاقيات ومنهجيات العمل وبنود التصدير وقوانــين الاستثمار الأجنبــي في هذه الشركات، وإنتاج النشــرات المصطلحية، لكي تصبح العربيّة لغة العمل في هذه المؤسّسات، ولكي يتحقّق ذلك، تأتي ضرورة تقنين السياســة اللغوية للمقــاولات والشركات العربيّة الكبرى والبنــوك، التي تخضع من جهة إلى لغــة التبادل الاقتصادي العالمية الإنجليزية، وليست لها علاقة بالسياسة اللغويــة للحكومات العربيّة من جهة أخرى، الأمر الذي يحتّم فرض لغة واحدة على الزبائــن، وإذا مــا تمّ إدماج السّياســة اللّسانية لهذه المقــاولات والشركات بوصفها

(١) يراجــع حســن لحساسنة، دور الترجمة في تطوير البحث العلمــي في الاقتصاد الإسلامي، مرجع سابق،ص ٤٤٦.

جـزءا مـن السياسـة اللغويـة للبلاد التـي تنتمـي أو توجد فيهـا هـذه المؤسّسات، فسيتحتّـم عليها اتباع التّعدد اللّغوي، وهو أمر يشبـه المفارقة، حيث تعمل التّرجمة على التوحيد اللغوي من أجل التغلّب على عراقيل ممارسات التعدد اللغوي لأسباب ثقافية، من جهة، والحفاظ على هذا التنوّع اللغوي والدفاع عنه لأسباب اقتصادية، مـن جهـة ثانية. حيث يتـم الالتزام باللغـة العربية، في الوقت الـذي يعمد فيه إلى ترجمـة وثائقها إلى لغات أخـرى، والأمر نفسه بالنسبة إلى المقاولات الأجنبية التي -وإن فضلـت الالتـزام باللّغة الإنجليزيـة أو الفرنسيةفيتعيّن عليهـا -أيضاترجمة وثائقهـا إلى اللغة العربيـة، وعندما تصير هذه الطريقـة إلزامية، سيحدث هناك نـوع من التّعاون مع مؤسّسات التّرجمة وإعـداد المصطلح، لتنشيط أساليب التوليد المصطلحـي المتخصّص، وقـد تضطر هذه المقاولات الكبرى كمـا هو معمول به في الغرب، إلى "تكليف الوكالات الفرعية بأعمال التّرجمة والمصطلحية أو ربما بجوانب أخرى من التواصل، وهو ما يسمّى في "الكيبيك" بتهجير الخدمات والمصالح"[(١)].

٥- تدعيم مشروعات الاقتصاد البنكي الإسلامي:

بمـا أن الـدول الإسلامية الناطقـة بغير اللغـة العربية تحـاول إقامة نظامها الاقتصـادي والمـالي بمـا يتوافق مع متطلبـات الشريعـة الإسلاميـة، وأن التحدي الـذي يقف أمـام تلك الدول هو فهـم المتطلبات الشرعية علـى الوجه الصحيح في مجـال الاقتصاد الإسلامي، بما فيها الأعمـال البنكية والتمويلية والمعاملات المالية في مجـال التجارة المحليـة أو التجارة الدولية والنمو الملاحـظ في المؤسّسات المالية والبنكيـة الإسلاميـة، هـذا النمـو الذي أثـار انتباه الغـرب، وجعله يندفـع لمواكبة الركـب بتبنّيه للمفاهيم والمبادئ الإسلاميـة في مجال الاقتصاد الإسلامي، وفتحه لمؤسسات مالية إسلامية لهذا الغرض، لكن الإشكال الذي يخشى حدوثه هو ضعف حركـة التّرجمة التي قد تجعل المـادة الشرعية للاقتصـاد الإسلامي غير متوافرة

---

(١) ماريا تيريزا كابري، المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، ص٢٩٥.

عالميـا لدى تلك المؤسّسات المالية العالمية ممـا ينتج عنه مفاهيم خاطئة وتطبيقات غـير صحيحة في مجال المعامـلات التجارية والمالية ويؤكد حسن لحساسنة أنّه ومع تسـارع نمو المصـارف الإسلامية وتوسع مجـال الاقتصاد الإسلامـي الذي تعيشه المصـارف والبنـوك الإسلامية في العـالم، فإن نموّها يقدر بأكـثر من ٢٠ ٪ مقارنة مـع البنـوك التجارية التقليدية الـذي يصل إلى حـدود ١٢ ٪ إلى١٥ ٪، وهذا النمو السّريـع، ينبغـي أن يواكبه نمو مواز في توفـير الموارد البشريـة المناسبة والمتمرّسة والمتفهمـة والمتمكنـة من فقه النظام المـالي والاقتصادي في الإسـلام على مستوى العالم، وبما أن عمل البنوك الإسلامية غير محصور فقط في البلدان العربيّة، وإنما يشمـل الدول الإسلامية الأخرى الناطقة بغير اللغـة العربية مثل إيران وباكستان، وماليزيـا، وإندونيسيا، والدول غـير الإسلامية والتي تبنّت النظام المالي الإسلامي مثـل بريطانيا، وسنغافورة، وهونج كـونج، واليابان، والصين، وغيرها، من، الدول، مما يجعل وجود المصارف الإسلامية في غير الدول العربيّة يتزايد وينمو خاصة مع تبنـي أكبر البنوك التقليدية وغيرهم مثل HSBC والنظام المصرفي الإسلامي مثل Citi Bank ممـا يجعـل الدائرة أوسع والطلب على المعرفـة الاقتصادية الإسلامية أكـبر والتحدي أمام التّرجمة يتزايد، وينبغـي أن يتوافق مع حجم التحدي المواجه في السـاحـة العلمية والعملية، وبذلك، فإن تطور حركـة التّرجمة وتوسّعها وقدرتها على توفير المادة العلمية والشرعية والاقتصادية المالية من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى وخاصة الإنجليزية له دوره المهم والجوهري في تطوير حركة البحث العلمي في الاقتصاد الإسلامي[١].

ولقـد أثبتت بعض الدول الإسلامية كماليزيا مثلا والتي كانت إلى غاية ١٩٨٠ جزيرة منعزلة، أنها بسياستها الاقتصادية التّنمويّة الشّاملة، تستطيع أن تكون من

---

(١) يراجـع حسـن لحساسنة، دور الترجمة في تطوير البحث العلمـي في الاقتصاد الإسلامي، مرجع سابق، ص٤٣٤/٤٣٥.

الدّول المُتقدّمة التي تستثمر في اقتصاد قائم على تفعيل القدرات الذاتية من خلال الاستفادة من تجارب اقتصادية عالمية، وتجاوز نقائصها وفرض البديل الإسلامي في الاقتصاد، الذي ترى أنه اليوم من أولويات الاستثمار في اللّغة من خلال ترجمته إلى المؤسّسات البنكية والتجارية العالمية. ولعلها تدرك مبررات تفعيل حركة التّرجمة وخطورة الآثار السلبية لضعف حركة التّرجمة في مجال الاقتصاد الإسلامي حيث يرى المشتغلون في الاقتصاد الإسلامي، هناك، أن ضعف حركة التّرجمة في هذا المجال، قد يؤذن بخطر داهم قد لا يتفطن إليه بالنّظرة القاصرة، ولكن الخطورة تتضح وتتعاظم إذا نظرنا في الأفق البعيد، فتنامي حركة المصارف الإسلامية والنشاط التجاري في ظل الإطار العام لنظرية الاقتصاد الإسلامي، في شتى أنحاء العالم مع ضعف حركة التّرجمة في هذا المجال، وعدم توفير التقنية والمعرفة والإنتاج العلمي والفكري والنتائج والتوصيات في هذا المجال، لاشك أنّه سيحدث نوعا من التّنافر والتّباعد، ونجد عالمين بينهما فوارق كبيرة ومعسكرين لا صلة لأحدهما بالآخر، حيث هناك نظام مالي واقتصادي في الدول الإسلامية العربيّة وحركة علمية وبحثية تصب في اتجاه معين، ونظام مالي واقتصادي في الدول الإسلامية غير العربيّة والدول غير الإسلامية تصبّ في اتجاه مخالف أو معاكس، وحركة بحث مؤسسة على فلسفة غريبة عن الشريعة، الأمر الذي يخشى منه حدوث فجوة يصعب سدّها في القريب العاجل، وما يخشى أيضا أن يتّخذ من تلك الفوارق فرصة لضرب النظام المالي والاقتصادي الإسلامي[1]؛ فليس هناك من حل لهذا التنافر إلا إستراتيجية للتّرجمة. وهنا لا بد من الإفادة من التجارب العالمية الرائدة في مجال التّرجمة والتي أسهمت في جعل هذه البلدان تحقّق استثمارا ثريا وفاعلا في مختلف المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

---

(١) يراجع المرجع نفسه، ص ٤٣٩ / ٤٤٠.

٦- العمل على استرجاع العقول العربيّة المهاجرة:

وذلك للتمكـن من مسايرة الثورة المعرفية التي يعيشها العالم، وبما أن العقول العربيّـة قد ثبـت أنها أسهمت إسهاما كبـيرا في الأداء التكنولوجي الجديد للبلدان الغربيـة، فإن استرجاع هذه الكفـاءات سيسهم في التصدي للفجـوة المعرفية التي يعيشها العرب مع المجتمعات المتقدمة، وهو نوع من التشارك الفاعل في تجاوز كثير مـن المراحـل. وإذا تضافرت الجهود بين تخطيط لغوي حكيـم وتمويل كاف، سوف تـبرز أولى مظاهر التجاوب الفعلي من أجل تحقيق مجتمـع المعرفة، الذي يتواصل مع الذات بإدراك مواطن القوة وتفعيل الطاقات المعطلة فيها، ثم التواصل مع الآخر مـن أجل الإسهـام في الفعل المعرفي العالمـي الجديد. إن تمكين هـذه الكفاءات من نقـل تجاربهم المستثمرة خـارج أوطانها، بتمويل مشروعـات اقتصادية ومؤسسات تكون التّرجمة عضدها ومحرّكها، سيسهم في إدماج كثير من متخرجي الجامعات، وتطوير الاستثمار في حقول اقتصادية تجارية وسياحية مختلفة، كالبنوك والفنادق والأماكن السياحية والمطارات، والمطاعم، وكلها بحاجة إلى اللغة العربية وترجمتها. وتعمـل بين هذه المؤسّسات والمشروعات هيئة منسقـة تتكون من لجان تقنية موزعة بحسب المجالات التي تشتغل من خلالها.

إن هذا النوع من المشروعات، سيعوّض الاستعانة بخبرات الأجانب، التي تلجأ إليهـا مختلـف المؤسّسات العربيّة، سـواء بوصفه شرطًا من شـروط البلد الأجنبي المستثمـر، نتيجة اتفاقـات التعاون، أو لأسبـاب أخرى، الأمر الـذي يجعل الطرف العربـي بعيدا عـن المشروعات "فهـو في الحقيقة لا يعرفها، عمليـا، إذا لم يشارك فيهـا فعليا سواء بإنتاج المعرفـة اللازمة لها، أو العمل والإشراف على تنفيذها"[١]. وسيكـون الإشـكال مضاعفا إذا لم تكـن اللغة العربية حاضـرة في تسيير المشروع، الأمر الذي يفوّت فرصة كبيرة للاستثمار في اللغة العربية.

(١) علي الهادي الحوات، التعليم والمعرفة والتنمية، مرجع سابق، ص٢٦٠.

٧- الاستثمار في شعيرتي الحج والعمرة:

إن الملايين من المسلمين الناطقين بغير العربيّة يشكّلون مجالا لا غنى عنه للاستثمار في اللغة العربية من خلال التّرجمة من وإلى اللغات الأم لهؤلاء المسلمين، وفي هذا المجال يعدّ مركز الملك عبد الله رائدا في الاستثمار في هاتين الشعيرتين، وهو مشروع موجه لتعليم الحجاج والمعتمرين اللغة العربية، لتكون بوابة لنشر اللّغة للعالم، وفي مرحلة ثانية سيتمكن المركز من خلق مشروعات ترجمة مشتركة وتعاون بينه وبين مختلف دول العالم التي يوجد بها المسلمون، وبإمكان هذه المشروعات أن توفر مصدر دخل لتموين مشروعات في خدمة اللغة العربية وخدمة المسلمين خاصة في البلدان المعوزة.

ولعل هذا المركز الدولي لخدمة اللغة العربية سيسهم بهذا المشروع وغيره من المشروعات المحققة في الواقع، في خلق حركية في دعم اللغة العربية في عديد من البلدان الإسلامية، التي نجد آثارها في تمويل مشروعات خدمة العربيّة والإنجازات المحقّقة سواء في نشر البحوث الأكاديمية أو في إنشاء مرصد إلكتروني، يكون في خدمة المترجمين وغيرها من البرامج، في المجالات الحساسة التي تؤهل العربيّة لكي تكون لغة عصرية وعالمية[1].

٨- استغلال السياحة في الدول العربية:

صحيح أن تعليم اللغات الأجنبية في مجال السياحة يمثّل عاملا استثماريا في تعلم هذه اللغات، نظرا لحاجة السيّاح إلى مهن خدماتية تقتضي التواصل معهم بسهولة من عمال فنادق، وعمال البنوك ودليل السياحة، غير أن التنافس في جلب السياح والسعي إلى الربح، لا ينبغي أن يكون خارج اللغة العربية بتحييدها من المشهد السياحي العربي، وإذا كنا نشهد في الغرب أحيانا أصواتا تستهجن استعمال اللغات

(١) -ينظر دليل مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، التأسيس والانطلاقة.

الأجنبية فيها، فحريٌّ بالعرب أن يستثمروا في المجال السياحي لنقل اللغة العربية من لغة ذات تقاليد أدبية قديمة إلى لغة مشتركة، مثلها مثل اللغات الأخرى، وتجاوز الاعتقاد بأن الحاجة إلى تطوير السياحة "يحتاج إلى لغة مشتركة التي تعني ضمنا عند بعضهم ضرورة تبنّي لغة أوربية"(١)؛ ذلك أن خلق تنمية اقتصادية قائمة في جزء منها على السياحة، لا بد أن يقوم على التعدّد اللغوي، الذي تكون اللغة العربية جزءا منه. ويمكن لهذا التّعدد في المجال السياحي أن يسهم في إيجاد هذه اللغة المشتركة التي تتطور استنادا إلى الحاجات التواصلية التي تقتضيها السياحة. فكلما كانت اللغة أكثر استعمالا كلما كانت قابلة لكي تصبح عالمية؛ ذلك أن "قيمة لغة ما تتحدد في إطار علاقتها بقيمة اللغات الأخرى، فاللّغات، بتعبير آخر، لها قيمة سوقية، وهي القيمة التبادلية التي تمتلكها لغة معيّنة باعتبارها سلعة"(٢). والسياحة إمكانية استثمارية للغة العربية في الوطن العربي لا غنى عنها.

(١) فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة: أحمد عوض، ومراجعة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، الكويت ٢٠٠٠ ص ٦٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٩٥.

الخاتمة :

إن اللغة العربية تشكّل معطى نادرا بالنسبة إلى لدول والحكومات العربيّة لكي تحافظ على كيان اسمه الأمة العربيّة، والسياسة اللغوية المشتركة بالنسبة إلى هذه الدول والحكومات أداة لبسط الهيمنة الرمزية وتوحيد الشعوب العربيّة في إطار اللغة العربية التي تستخدم بوصفها لغة رسمية، وتتكلّم بها الأغلبية العظمى من الشّعوب العربيّة، وهي ليست موضع اختيار من بين لغات أخرى كالذي حدث في أوربا بعد توحيد العملة؛ حيث "اختارت المفوّضية الأوربية الفرنسية لغة موحّدة للاتحاد الأوربي، واستبعاد الألمانية، وإقصاء الإنجليزية، كونها حصان طروادة اقتصادي لصالح الولايات المتحدة وبريطانيا اللتين بدأ نفوذهما يتراجع لصالح الثنائي الفرنسي الألماني ولمماطلتهما في بناء الوحدة الأوربية"[١]، غير أن هذا لا ينفي التعدد اللغوي الذي ينظر إليه بعيون التّرجمة التي تزداد ثراء، وخاصة التّرجمة الآلية التي يتم الاستثمار فيها بشكل كبير في الاتحاد الأوربي. ولا بدّ للمؤسسات التي تسهم في عملية الإعداد اللغوي، من الوعي بأن علم المصطلح والتّرجمة هو قطاع لغوي يجب التدخل فيه لتأكيد وجود اللغة العربية، وأهمية بقائها على قيد الحياة، ولضمان استمراريتها بوصفها وسيلة تعبير بواسطة تحديثها وعصرنتها[٢].

إن ضعف الاستثمار في اللغة العربية، يعود إلى أسباب موضوعية يفسّرها تدني التّنمية الشاملة في البلاد العربيّة، وغياب سياسة عربية جادة. ولذلك، فإن ما تقوم به البلدان العربيّة في مجال التّرجمة، لا يعبّر عن الحاجيات الأساسية للمجتمعات العربيّة، ويعكس التدنّي الواضح في التّنمية البشرية.

وقد أسهمت الفجوة الرقمية في تعميق الهوة بين المشتغلين على اللغة العربية، ويضيف إبعاد العربيّة عن المجالات الحيويّة كالاقتصاد والإدارة والإعلام والتعليم

---

(١) Bruxelles (8/12/2002) le français langue européenne.AFP- نقلا عن علي القاسمي، السياسة الثقافية في العالم العربي، ص ٨٦.

(٢) ماريا تيريزا كابري، المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، مركز سابق، ص١٥.

العالي والبحث العلمي همًّا مضاعفا تزداد به اللغات الأجنبية ثراء، وتزداد العربيّة بها انزواء.

ولعلّ أولى آليات الاستثمار في اللغة العربية هو تطوير حوسبتها، وجعلها لغة عصرية قادرة على استيعاب معطيات الثورة الرقمية، والاندماج الفاعل في التكنولوجيات الجديدة. فالتّرجمة أداة لعصرنة اللّغة، وركيزة أساسية للانخراط في التكنولوجيا؛ لأن مستوى ما يترجم هو مؤشّر حقيقي على تطور اللّغة والمجتمع، ولذلك أصبحت ممارسة تجارية أساسية في قطاعات معرفية وخدماتية مختلفة، كالاستنساخ، والتسيير، واختراع المواقع الإلكترونية، والتواصل، والبث التلفزيوني، والسينما، والأدب.

إن الاستثمار في اللغة العربية من خلال التّرجمة، مشروط بانتقال بالمجتمع العربي من مجتمع شفهي إلى مجتمع قارئ، فمؤسسات التّرجمة الحكومية والخاصة حتى وإن تمكنت من تمويل نفسها من المبيعات وتوفير مصادر المال إلا أن ذلك لا يمكن أن يكون فاعلا ما دام حجم القرّاء في الوطن العربي لا يكاد يذكر، قياسًا بفرد واحد في بعض البلدان الناجحة في مجال التّرجمة ومن هنا تأتي أهمية السياسة اللغويّة.

إن الاستثمار في اللّغة من خلال التّرجمة يحقّق نتيجة مزدوجة هي إعمال العقل في اللّغة وفي الواقع، فالتّرجمة تمكن العقل العربي من تفعيل القدرات الذهنية في إدراك طرائق التمثيل اللغوي للأفكار والوقائع والأشياء، وأما إعماله في الواقع، فإنها تمكنه من أن يستقي منها القيم والمعاني التي توجّهه نحو الإبداع وتدفع إلى إنشاء معرفة مشتركة تؤثر في الفعل العالمي. ومن هنا فإنه لا يمكن أن تكون اللّغة العربية عنصرا أساسيا من العملية الاقتصادية إلا إذا كانت هناك عوامل تساعد على خلق أوضاع لغوية تقوم الترجمة بتوجيهها، ولعل العوامل والآليات التي تعرّضنا إليها في هذا البحث، ستمكّن المشروعات المقترحة من جعل اللغة العربية

آليـة إنتاج اجتماعية قابلـة للانخراط في التكنولوجيات الجديـدة، وقادرة على أن تصبح سلعة في السـوق الدولية للغات، شريطة أن تتكفل الحكومات العربية بتمويل تلك المشروعات.

قائمة المراجع

أولاً : الكتب بالعربية :

١. إبراهيـم الحاج يوسف، دور مجامع اللغة العربيـة في التعريب، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ط١ طرابلس، ليبيا ٢٠٠٢.
٢. حافـظ إسماعيلـي علويوليـد أحمد العنـاني، أسئلة اللغـة أسئلـة اللسانيات،الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف،ط١ بيروت، الجزائر، الرباط ٢٠٠٩.
٣. سعيـد يقطين، الأدب والمؤسسة، نحو ممارسة أدبية جديدة، منشورات جريدة الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، ط ١ الدار البيضاء،المغرب٢٠٠٠.
٤. عبـد الله حميد الحميـدان، مقدمة في الترجمة الآلية، مكتبـة العبيكان، ط١، الرياض ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م.
٥. علـي القاسمـي، السياسة الثقافيـة في العالم العربي، مكتبـة لبنان ناشرون / صائغ، ط١ بيروت ٢٠١٢.
٦. علي الهادي الحوات، التعليم والمعرفة والتنمية دراسات في المجتمع العربي، دار الفسيفساء للطباعة والنشر والتوزيع،ط١ طرابلسليبيا ٢٠٠٧.
٧. فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة: أحمد عوض، ومراجعة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١ الكويت ٢٠٠٠.
٨. ماريـا تيريزا كابـري، المصطلحية النظريـة والمنهجية والتطبيقـات، ترجمة: محمد أمطوش، عالم الكتب الحديث، ط١ الأردن ٢٠١٢.
٩. محمـود أحمد السّيد، اللّغـة العربية وتحدّيات العصـر، وزارة الثّقافة، الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب، ط١دمشق ٢٠٠٨.
١٠. محمـود السيد، اللّغة العربيـة واقعا وارتقاء، وزارة الثقافـة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ط١ دمشق٢٠١٠.

١١. كتاب المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها العربي والوطني والدولي ، ج٧، ط١، دبي، الإمارات المجلس الدولي للغة العربية،٢٠١٤.
١٢. مجلة علامات، العدد ٢٤ المغرب ٢٠٠٥

ثانياً: باللغة الأجنبية :

1. Daniel GOUADEC.le Traducteur، la Traduction et l'entreprise، AFNOR gestion Paris 1989.
2. Marie de Besses، Les logiciels libres : une communauté fertile en innovations et apprentissages / Grenoble : IREPD –Paris 1999.
3. Transeuropéennes and the Anna Lindh Foundation for the Dialogue between Cultures، the French Ministry of Culture and Communication،april 2012

ثالثاً: المواقع الإلكترونية:

1. http/www communicationdubai.com/ar/about-us .php.
2. http://www.libyanwritersclub.com/arab.
3. http://www.islamicnews.net/Document/ShowDoc08.asp.
4. http://www.ekarlate.com
5. http://aafaqcenter.com/index/php/category/78
6. http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/mafa-heem
7. http://www.maghress.com/alalam/50918
8. http://www.alriyadh.com/877701
9. http://www.majalla.com
10. http://www.moc.gov.eg

الاستثمار في اللغة العربية من خلال البرمجيات والتقنيات الحاسوبية

د.عبدالرحمن حسن البارقي(*)

" إذا كان الخطاب السياسي التقليدي حول اللغة قد ركز على الجانب القانوني [...] والثقافي [...] فإن الجانب الاقتصادي غالباً ما أُهمل في تحديد التوجهات اللغوية حتى عهد قريب ..."

د.عبدالقادر الفاسي الفهري

(*) أستاذ اللسانيات المساعد بجامعة الملك خالد

١- مقدمة :

الأرضية التي تشتغـل في محيطها هذه الدراسة مُبنّينة بين ثلاثة حقول بحثية مختلفـة : الاقتصـاد ، والحاسوب، واللغة، وهي حقول مهما بـدا بينها من تنافر أو عـدم انسجـام على الأقل إلا أنهـا يمكن أنّ تأتلف في المنحـى الاستثماري ، ومن ثم فستتنـاول هـذه الدراسة محاور اقتصاديـة حاسوبية لغوية؛ حيـث ستستعين بأهم النظريـات الاقتصاديـة المتعلقة بالتقنيـة وباللغة ، كما أنها ستنظـر إلى اللغة على أنها رصيد أو رأس مال ، ومن ثم ستفاتش سبل الاستثمار فيه من خلال التطبيقات الحاسوبية والبرمجية المختلفة .

١-٢ النمو التقني اقتصاديا [١] :

بوجـه عام يمكن أن ندرك أثر النمو التقني بوصفه عاملًا مهمًّا اقتصاديًّا إذا أخذنـا على سبيل المثال نموذج صولو (Solow) وهو نموذج يقوم على مجموعة من الافتراضـات يتعلق بدراستنا بشـكل مباشر منهـا أنّ "التكنولوجيا متغير خارجي المنشأ" ، ويتألف نموذج صولو العام من نموذجين فرعيين :

١- النموذج القاعدي

٢- الرقي التقني

أمـا النمـوذج القاعدي فيستند إلى سلسلة من العلاقـات الرياضية [٢] تمثل " المعادلة الديناميكية الأساسية لنمو معدل رأس المال الفردي ، وهي تعبر عن الطريقة

---

(١) تم الاعتمـاد في هذه الفقـرة على كبداني سيدي أحمـد (٢٠١٣) : أثر النمو الاقتصادي علـى عدالة توزيع الدخـل في الجزائر مقارنة بالـدول العربية:دراسة تحليليـة وقياسية ، أطروحـة دكتـوراه في العلوم الاقتصادية ، جامعـة أبي بكر بلقايد – تلمسـان كلية العلوم الاقتصاديـة والعلـوم التجارية والتسيير ، الجمهورية الجزائريـة الديمقراطية الشعبية . ص ص ٤٣-٥٠.

(٢) راجع السابق ص ص ٤٤٨وما أحال إليه من مصادر .

التي يتحدد بها تراكم رأس المال انطلاقا من الإنتاج والاستثمار والادخار ..." [١].

وتخلص تلك العلاقات إلى " أن معدل تغير مخزون المال لكل وحدة فعلية من العمل هو العبارة عن الفرق بين حدين هما :"[٢] الاستثمار الجاري لكل وحدة فعلية من العمل ، والثاني يمثل القيمة الاستثمارية التي ينبغي استثمارها للحفاظ على رأس المال كي لا ينخفض ...

وبحسب نموذج صولو " فإن من الأسباب التي جعلت بعض الدول غنية وأخرى فقيرة هو أن الدول التي لديها معدلات ادخار (استثمار(أكثر ارتفاعا فهي التي تتمتع بقابلية أن تصبح غنية، وأما الدول التي لديها معدلات نمو سكانية مرتفعة فهي مرشحة أن تكون بلدانا فقيرة "[٣].

وأما نموذج الرقي التقني : فيستبين بالاتكاء إلى النموذج القاعدي الآنف الذكر أنه حين يصل الاقتصاد إلى حالة مستقرة فإن متوسط دخل الفرد لا ينمو ، ولكي ينشط نموّه أدخل التقدم التقني في دالة الإنتاج ، لتنجم ثلاثة احتمالات :

- " حسب " Harrod " يكون التقدم (التقني) حياديا إذا كان يدعم إنتاجية العمل ..."[٤].
- " حسب" Solow " يكون التقدم التقني حياديا إذا كان يدعم رأس المال..."[٥].
- " وأما " Hicks " فاعتبر أنه يمكن لدالة الإنتاج أن تتأثر بالتقدم التقني ..." [٦].

---

(١) السابق ص ٤٥.
(٢) السابق ٤٦.
(٣) السابق ٤٨.
(٤) السابق ٤٨.
(٥) السابق ٤٨.
(٦) السابق ٤٨.

وبـأيّ هذه الاحتمـالات الثلاثة أخذنا فالمـؤدّى أن التقدم التقنـي ذو تأثير في تنشيط الناتج الإجمالي ونمائه ، " وكون النظريات الاقتصادية بدء من " Keynes " جاءت لتبحث في السبل التي يصل فيها الاقتصاد إلى حالة التشغيل الأمثل، فإنه عـادة ما يؤخذ التقـدم التقني الذي يدعـم إنتاجية العمل لدراسـة النمو في المدى الطويل ..."[(١)].

٣-٢ اللغة رصيد :

تنهـض علاقة جدلية بـين اللغة والاقتصاد فلكل منهمـا انعكاس على الآخر ، ولعـل هذا ما حفـز الثقافات باستمـرار إلى عقد المقارنات بينهمـا وترحيل حمولة أحدهمـا الدلالية إلى الآخـر؛ فاللغة من ذهب في بعض الثقافات [(٢)]، ومن فضة في ثقافات أخرى[(٣)]، وهي في كلتا الحالين معادل للنقود أو الأحجار الكريمة، وسنقارب هذه العلاقة الجدلية بينهما في النقاط الموالية.

٣-٢-١ اقتصاديات اللغة و"مُعامِل" التجانس اللغوي :

ظهـر مصطلح اقتصاديات اللغة (economics of language) في حدود سنة ١٩٦٥م عند (مارشاك Marschack) الذي حاول تأكيد العلاقة الوطيدة الحاصلة بين اللغة والاقتصاديات ؛ ذلك أن اللغة وسيلة أو وسيط مهم في أي نشاط أو تفاعل

---

(١) السابق ٤٨.

(٢) في الثقافيـة الغربية مثلاً انظر فلوريان كولمـاس (٢٠٠٠) : اللغة والاقتصاد ، ترجمة د. أحمد عوض ، مراجعة عبدالسلام رضوان ، سلسلة عالم المعرفة : الكويت . ص ٧.

(٣) في الثقافـة العربيـة إذا كان الـكلام مـن فضة فالسكـوت من ذهب ، وهنـا إعلاء لقيمة الصمت !

اقتصادي [١] ، وأكّد أن اللغة : قيمة ، ومنفعة ، وتكاليف ، وفوائد [٢] ...

وقد تطورت هذه النظرات لاحقا في إطار ما يعرف بنظرية الرأسمال البشري (human capital theory) ، ومن ثم طُرحت فكرة أن تعلّم اللغة جزء من الاستثمار في الرأسمال البشري [٣].

بل ذهب (يوهان جورج هامان J.G.Hamann) من وقت مبكر (١٧٦١) إلى أن اللغة والاقتصاد مرتبطان بشكل أقوى مما هو متصور إلى درجة أن نظرية أحدهما يمكنها أن تفسر الآخر [٤].

واللافت للنظر أنّ التطورات اللغوية في أوروبا تزامنت مع التطورات الاقتصادية ، وفي هذا الصدد يؤكد (كولماس) أنّ توطُّدَ اللغات الأوروبية المشتركة بدل اللاتينية – وتوطُّدَ الأشكال الحديثة للتفاعل النقودي لا يمكن النظر إليهما بوصفهما حدثين منفصلين، بل إنهما لمترابطان ولم يقعا بمحض الصدفة [٥].

و(كولماس) هنا يلفت النظر إلى مسألة مهمة جدا من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية وهي " التجانس اللغوي "؛ ذلك أنه متى تحقق التجانس اللغوي لمجاميع لغوية معينة انعكس ذلك إيجابا على نواح عدة منها الناحية الاقتصادية؛ حيث

---

(١) انظر عبدالقادر الفاسي الفهري (٢٠١٣) : السياسة اللغوية في البلاد العربية :بحثاً عن بيئة طبيعية ، عادلة ، ديموقراطية ، وناجعة ،دار الكتاب الجديد :بيروت . ص ص ٢٥١- ٢٥٢.

(٢) **السابق ٢٥٢.**

(٣) السابق ٢٥٢ ، وانظر
Barry R. Chiswick(2008):The Economics of Language : An Introduction and Overview .pdf .p4

(٤) كولماس ص ٩.

(٥) انظر السابق ٤٣.

تتهيـأ الفرصـة لعملية اتصالية واضحـة ودقيقة، وهو الأمر الـذي تنشده الأنشطة الاقتصاديـة، فالإنتاج الصناعي "يتطلـب أساليب موحدة ومنظمة كما يحتاج إلى سـكان متحركين ومتجانسين وعلى درجة عالية مـن التعليم ، وهذه المتطلبات تعني الحاجة إلى استعمال لغة واحدة موحدة عن طريقها يمكن أن يتواصل جميع أعضاء المجتمع الذين يشـاركون في العملية الاقتصادية "[١] .

ويلـحّ (كولماسـ) على أهميـة التجانس اللغـوي ، وأنه معامـل اقتصادي مهم ضاربـا مجموعـة من الأمثلة منهـا النموذج اليابـاني الذي استطـاع اللحاق بأكثر البلدان الصناعية تطورا ، وهو نموذج متجانس لغويا بدرجة عالية [٢].

ومـن شأن التجانس اللغوي أن يذيب عـددا من المشكلات الاقتصادية المترتبة على اختلاف اللغات والتي قد تعيق العملية الاقتصادية أو تؤثر على مستوى تكاليفها أو علاقاتها التعاقدية وما إلى ذلك [٣].

٢-٢ التنمية اللغوية والتنمية الاقتصادية :

والنهضـة الغربية صنعت فارقا ملموسا وأصبحـت معيارا للتقدم الاقتصادي باعتبارهـا العالم الأول ، وبمحاذاة التقدم الاقتصادي كان ثمة تطور لغوي أو تنمية لغوية ، وقد خضعت مجموعة اللغات الغربية لمنظومة من الإصلاحات المتواترة. ولا يعـزب عن البال التذكير بالتجربة اليابانيـة الناجحة – خارج النموذج الغربي – لكـن ماذا عن البلدان الناميـة أو دول العالم الثالث ؟ إلى أي حد أثر تخلف التنمية الصناعية والاقتصادية على التنمية اللغوية – أو العكس ؟

---

(١) السابق ٤٤.

(٢) انظر السابق ٤٦.

(٣) انظر
Jean-Louis Arcand and François Grin (?)Language in economic development: Is English special and is linguistic fragmentation bad?pdf .pp7-8

يزعم (كولماس) أنّ التخلف الاقتصادي قد انسحب على الجانب اللغوي أيضا فنجم تخلف لغوي في بلدان العالم الثالث مؤكدا أنّ "تخلف لغات بلاد العالم الثالث عبارة عن مؤشر وجزء من التخلف الاقتصادي لهذه البلاد، مادامت هذه اللغات- على مستوى المقارنة باللغات المشتركة الغربيةلا تستطيع أن ترفع درجة وحدتها الوطنية، ولا تظهر التفاضل الضروري لمجتمع حديث "[1].

ولا يمكن دحض زعم (كولماس) هذا حتى بالنسبة إلى اللغة العربية؛ لأن البلدان العربية في واقع الحال لم تحقق بعدُ الانسجام اللغوي، فالبلدان العربية منشطرة اقتصاديا ومنشطرة لغويا كذلك، وهي عبارات عن جماعات لغوية (لهجية) وليست جماعة لغوية واحدة ، وإن كان لا ينكر ظهور محاولات إصلاح لغوي لكن حتى تلك المحاولات منشطرة و غير متزنة في بعض الأحيان [2].

إنّ اللغة العربية الفصيحة هي الخيار الأمثل لأهم ما يمكن إجراؤه من إصلاحات؛ فهي تحقق نظاما لغويا مشتركا للبلدان العربية كافة وتتحقق بها الأبعاد المتصلة بالتنمية اللغوية التي ذكرها فرجيسون Ferguson، ١٩٦٨)) وهي [3] :

١- البعد الكتابي.
٢- التوحيد ، بمعنى تأسيس نمط يتجاوز التنوعات الاجتماعية.
٣- تنمية إمكان الترجمة المتبادلة مع اللغات الحديثة.

وبوجه عام يطرح (كولماس Coulmas) ثلاثة أمثلة لمحاولة التغلب على التخلف اللغوي، أو تهيئة لغة ما لتكون وسيطا مناسبا للاتصال الحديث [4] :

---

(١) كولماس ٦٤.
(٢) كنماذج على تلك المحاولات انظر السابق ص ص ٦٥ ، ٦٨.
(٣) انظر الأبعاد التي ذكرها فرجيسون في كولماس ٦٦.
(٤) انظر كولماس ٦٨.

١. أن يتـم تبني لغة غربيـة على أساس أن اللغات الغربيـة خضعت لعلميات إصـلاح وصارت وسيطا صالحا للتعاطـي مع مستجدات العصر ، وقد تم تجربة هذا الخيار في (مالي).

٢. أن يتـم تطويـع اللغـة المحلية/اللهجـة ، كمـا هـو الحـال في التجربـة الإندونيسية.

٣. أن يتـم تطويـع المفاهيم الغربية لتكويـن تعابير محلية ، ويتـم الاستعانة بالترجمة المستعيرة في هذ الصدد ، كما هو الحال في التجربة الصينية.

إنّ النظر فيما ذكره (فرجيسون) من أبعاد يقود إلى أن اللغة العربية الفصيحة هـي الخيار الأمثل؛ فأصواتها ممثلة كتابيـا، وثقافتها وعلومها من مختلف الروافد منقولـة كتابيـا، ولا يوجد إشكال يذكر في تنظيمها الكتابـي [(١)]، كما أنها من جانب آخر تستوعب جميع الشعـوب العربية بتنوعاتها الجغرافية وتشعباتها الاجتماعية ؛ فهي بالنسبة إلى هذه الشعوب لغة ديانة في الأغلب ولغة قومية ، ومن اليسير تذويب الخلافـات اللهجيـة – وإن عظمـت – كلما ارتقت هـذه الشعوب باتجـاه العربية الفصيحة ، ثم إن حركة الترجمة ملحوظة في العصر الحديث وهي تستوعب جميع المعـارف والعلـوم بدون استثناء، وربما لا ينقصها إلا شيء من التنظيم والتحديد ، وهنا يتقاطع الدور السياس لغوي مع الدور الاقتصاد لغوي؛ ذلك أنّ عملية التنظيم والتحديـد والتوجيـه هذه التي تستهـدف ترجمة مؤلفات بعينها وفـق رؤية واضحة وإستراتيجيـة مخططة سلفـا – تحتاج إلى قرارات سياسيـة، ومتابعة سياسية في مؤسسـات سياسيـة، أو تشـرف على عملهـا مؤسسات سياسية (كمـا هو معلوم في التخطيـط اللغـوي)، و إذا تمعنّـا في الأمثلة الثلاثة التي قدمهـا (كولماس) أعلاه

---

(١) إلا بالقـدر الذي يعتـور جميع اللغات الطبيعيـة تقريبا ، وقد شهد نظـام العربية الكتابي عمليات إصلاح متواترة بين حين وآخر ...

في ضوء الراهن اليوم فلن يعزب عن النظر أن التجربة الصينية بما تمثله من ثقل اقتصادي اليوم كانت الأوفر حظا وتميزا .

٢-٣ القيمة السلعية للغة :

في التصور الاقتصادي تحيل "قيمة السلع " إلى معنيين وهما : القيمة الاستعمالية، والقيمة التبادلية [١].

والعلاقة بين القيمتين الاستعمالية والتبادلية ليست طردية بالتأكيد، بل تبدو علاقة عكسية في بعض جوانبها ؛ ذلك أنه كلما علتْ قيمة الشيء الاستعمالية انخفضت قيمته التبادلية ومن أقرب الأمثلة على ذلك (الماء)، وكلما ضؤلت قيمة الشيء الاستعمالية علتّ قيمته التبادلية ، ومن أقرب الأمثلة على ذلك (الأحجار الكريمة) [٢].

وفي الاقتصاد الجزئي تطرح فكرة "المنفعة الهامشية" أو الحدية (Marginal Utility) [٣] التي ينبني عليها أنّ قيمة السلعة تتحدّد بمنفعتها الدنيا للمستهلكين الرشداء (الذين تمثل لهم السلعة قيمة عظيمة لكنهم في المقابل لا يدفعون أكثر مما يدفع أولئك الذين تمثل لهم السلعة قيمة ضئيلة) [٤].

ماذا بشأن اللغة ؟ ومن أين تستمد قيمتها ؟ إن اللغة تستمد قيمتها من كونها أهم وأكفأ نظام يتواصل من خلاله البشر بل إنّ البشر يعيشون في عالم من الكلمات

---

(١) انظر السابق ٧٢.

(٢) انظر السابق ٧٢.

(٣) حول المنفعة الهامشية وملابساتها الاقتصادية انظر: عبدالعزيز دياب وفاروق الخطيب (٢٠١٥) : دراسات متقدمة في النظرية الاقتصادية الجزئية ، خوارزم العلمية :السعودية ص ص ٦-٣٣.

(٤) انظر السابق ٧٢، ٧٣ ، وانظر: Barry R. Chiswick(2008) The Economics of Language : An Introduction and Overview .pdf .p4

– علـى حد تعبير ليبمان [١] ومن ثمّ تُطرَح فرضيـة وجود علاقة سببية بين القيمة الاستعماليـة للغة وعدد متكلميها[٢]، وربما تسعفنا الأمثلة من الراهن للمضي قدما باتجـاه هذه الفرضية، فالألمانيـة مثلا أكثر قيمة من الهولنديـة، والإنجليزية أكثر قيمـة مـن الإسبانية، والفرنسيـة أكثر قيمة مـن الإيطالية، وعـدد متكلمي كل لغة فُضلت من حيث قيمتها أعلى من عدد متكلمي اللغة المفضَّل عليها [٣]...

لكن إلى أي مدى يمكن تعميم هذه الفرضية ؟

الواقـع أنه لا يمكن أن تطـرد العلاقة التي تسنّها هـذه الفرضية ؛ لأنّ المسألة تخضع لمُعامِلات أكـثر أهمية تتعلق باللغة ذاتها، فمثلا جماعة الجوجاراتي اللغوية أكبر حجما مـن الجماعة اللغوية العبرية بستة أضعاف، وعلى الرغم من ذلك فإن الأخـيرة تبـدو أكثر تقدمـا، وأكثر مطاوعة لـروح الاتصال الحديـث (بالنظر إلى برامـج معالجات النصوص) [٤] ؛ ولذلك فقيمتها اقتصاديا أعلى، كما أنه لا يعزب عـن البال أنّ الجانب الاستثمـاري للغة يدور دائما في فلك متحدثيها الأصليين؛ لأنّ ثمـة قيمـة اقتصادية لأولئك الذين يحتاجون إلى وسطـاء، وهم من فئة المهاجرين إلى بلدان لايجيدون لغتها [٥] .

٢-٤ اللغة رأس مال :

يطـرح بورديـيه Bourdieu، ١٩٨٢)) فكـرة أنّ اللغة رأس مال مـن واقع أنّ المهـارات يجـب النظر إليهـا باعتبارها شكلا مـن أشكال رأس المـال [٦]، ويخالفه (كولماس) ويـرى أنّ الأَولى النظر إلى اللغة على أنهـا أداة إنتاج ، وإذا نظرنا إليها

(١) انظر Barton L. Lipman(2002): Language and Economics pdf.p1
(٢) انظر كولماس ٧٤.
(٣) انظر السابق ٧٥.
(٤) انظر السابق ٨٦.
(٥) حول ذلك انظر Barry R. Chiswick.p4
(٦) انظر كولماس ٨٢ وا Barry R. Chiswick.p4

من هذا الجانب فعلينا أن نميز بين جانبين مهمين وهما [١] :

طبيعة أداة الإنتاج

ظروف استخدامها

وفي الجانب الأول : تُفحص اللغة في مدى ملاءمتها لمتطلبات الاتصال الحديث، وفي الجانب الثاني تُفحص السوق أو المحيط المستهدف [٢].

إنّ اللغة من هذه الحيثية مشروع استثماري مهم ، ويمكن الاستثمار فيها من خلال عدد من المناحي [٣] :

١. تصنيف المعاجم العامة والخاصة
٢. برامج معالجة النصوص
٣. الترجمة الآلية
٤. الذكاء الاصطناعي (على وجه التحديد نظم المعلومات، وبنوك المعلومات)
٥. تحسين مستوى الاتصال بين الإنسان والآلة

ولاشك أن هذه المناحي الخمسة تتعلق أربعتها الأخيرة بالحوسبة والبرمجيات بشكل مباشر ووحيد، والأول منها يتمظهر في وعاءين: أحدهما تقليدي والثاني حاسوبي، ومن ثمّ فجميع المناحي الخمسة تعد مشروعات استثمارية لغوية حاسوبية، وسنفرد كل واحد منها بحديث مستقل مقتضب في النقاط الموالية:

٣-١ الاستثمار في حوسبة المعاجم :

قبل الولوج إلى هذه النقطة نذكّر بأنّ الآلة تستمد قيمتها الاستثمارية

(١) انظر كولماس ٨٣.
(٢) انظر السابق ٨٣.
(٣) **انظر السابق ص ص ٨٦-١١٠.**

والاقتصادية من اللغة [١]، و نذكّر أيضا بإحصائية تناولت إنتاج المطبوعات العلمية والكتب المدرسية للسوق الإسرائيلية، حيث أظهرت تلك الإحصائية أنّ "العبرية" استجابت بشكل لافت لمتطلبات الخطاب التقني والعلمي فمن بين (١١٤٧) عنوانا تم ضخّها في عام ١٩٨٦/١٩٨٧ كان ما نسبته ٨٤٪ من تلك العناوين قد كتب أصلا باللغة العبرية، و١٦٪فقط كان مترجما [٢].

إنّ هذه الإحصائية تعني أن جهودا مضنية بُذلت للأخذ بيد العبرية التي كانت قريبة من التكلّس في فترة ما من حياتها، ولاشك أنّ المَعْجمة وسيلة من وسائل ضخ الحياة في أوردة اللغة. وإذا ما تجاوزنا هذا لننظر إلى اللغة العربية وجدنا أنها ستحتاج بالتأكيد إلى جهود وإصلاحات لغوية لكنها ليست مضنية كما هو الحال في العبرية أو الصينية أو اليابانية، لنتفق ابتداء أن اللغة العربية الفصيحة هي الخيار الأمثل للشعوب العربية كافة للانضواء تحت لغة مشتركة تكون لغة المعرفة ولغة الاقتصاد ، وإذا اتفقنا على ذلك لنتفق على الدفع بهذه اللغة بشكل منظّم وأكثر عمقا في عالم الحوسبة والتقنية.

إذا أردنا حوسبة المعجم العربي فنحن في الواقع إزاء معاجم وليس معجما واحدا؛ فهناك معاجم لغوية عامة، وهناك معاجم اصطلاحية في كل علم من العلوم. ولا يعزب عن البال في هذا الصدد أنّ الممارسة الاتصالية اللغوية الاصطلاحية قد تسهم في خلق معجم اصطلاحي عرفي لأغراض التسويق مثلا، لكن المشكل أن ذاك المعجم قد نشأ بشكل غير رشيد فهو ليس معجما علميا بقدر ما هو معجم خلقته الحاجة مفتقرا إلى العلمية والسياسة والتخطيط اللغويين [٣].

---

(١) حول هذه الفكرة انظر Jean-Louis Arcandi and François Grin .pp10-11

(٢) انظر السابق ٨٧.

(٣) يرى محمد بلبول (٢٠١٠): اللغة العربية وقضايا التخطيط والإصلاح ضمن كتاب الهندسة المعرفية والتدبير الحاسوبي في المصطلح المولد ، إعداد محمد غاليم، وعبد الرزاق تورابي ، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب –جامعة محمد الخامس السويسي ،الرباط ص ١٨٢ " أن من أسباب التنوع المصطلحي ممارسة التجار في تسويق بضائعهم ، وتلك الممارسة لا تتم بطريقة علمية ولا لأغراض علمية أيضا ".

إنّ الحوسبة المعجمية للغة العربية الفصيحة يمكن أن تسلك اتجاهين اثنين :

أحدهما : تزويد الحاسوب بذخيرة لغوية لا تعتمد على المعاجم العربية التقليدية وحدها، وإنما تضخ فيها مداخل معجمية حيوية من واقع دراسات لسانية مسحية ميدانية، ترصد كل ما يستجد وتقّبله العربية لتقوم بإضوائه تحتها. وتتضمن تلك الدراسات رصدا دقيقا لنسبة شيوع جذور أو جذوع كلمات بعينها في زمن الدراسة، وهي دراسة لا تجرى لمرة واحدة فقط بل يلزمها أن تتواتر ولو في كل ربع قرن مرة على الأقل.

وعلى صعيد المعاجم المتخصصة فإن الواقع يشير إلى أن " الدراسات الميدانية للمصطلحات في أبعادها التداولية والنصية منعدمة ..."[1].

ثانيهما : إنشاء برامج حاسوبية نسقية مستمدة في بنائها من الذخائر اللغوية ، ولكنها في الآن ذاته قادرة على التنبّؤ، وتكون قادرة على رصد الاطرادات والاشتقاقات من كل جذر، وترصد كذلك مواضع كسر النسق، وتكون ذات قدرة على توليد مفردات جديدة من الجذور متى استدعت الحاجة[2].

وفي إطار البناء المعجمي هناك متطلبات عامة منها :

" (أ) تحديد المادة المعجمية وطبيعتها ومصدرها، (ب) تحديد محتوى المداخل المعجمية (lexical entries)، و(ج) تمثل صوغ القواعد التي تربط بين المفردات، أو تحتسب ما هو حشوي فائض redundant ضمن المعلومات التي ترد أو يمكن أن ترد في المداخل "[3].

---

(١) السابق ص ١٨٠.

(٢) كمثال على تصور واف حول هذا النوع من المعاجم النسقية انظر الزراعي والبارقي (٢٠١٣) : " حوسبة المعجم النسقي " ،مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها ، ع١٠ (رجب ١٤٣٤-مايو٢٠١٣) ص ص ١١-٥٢.

(٣) الفاسي الفهري (١٩٩٧) : المعجمة والتوسيط :نظرات جديدة في قضايا اللغة العربية ، المركز الثقافي العربي :الدار البيضاء/بيروت .ص ٦١.

كما ينتظر من هكذا معجم أن يتضمن المعلومات التالية لكل وحدة معجمية [(١)]:

١- الخصائص النطقية

٢- الصورة الصواتية

٣- الخصائص الصرفية

٤- المعلومات التركيبية

٥- المعنى

٦- الخصائص البلاغية والمقامية

٢-٣ معالجة النصوص :

تُمَثل النصوص من خلال التشفير حيث يعطى حرف شفرة رقمية لتحل الأرقام بدلا من سلسلة الحروف ، وليس سرًّا أنّ هذه الشفرات صمّمت بالأصل لتناسب اللغة الإنجليزية [(٢)]، لكن الحاجة قادت إلى شفرات متعددة اللغات قادت بدورها إلى تطويع هذه الشفرة الأساس لتستوعب جميع اللغات حتى تلك المعروفة بمستوى تعقيدها كاليابانية والصينية [(٣)].

ولقد كان الاهتمام بالتعريب في مراحل سابقة منصبًّا على الحروف العربي[(٤)] بمعنى تسهيل إدخاله عبر لوحة المفاتيح، ومن ثمّ ظهوره على الشاشة أو مطبوعا على الطابعة [(٥)]، لكن في ظل التسارع الهائل الذي يشهده العالم الرقمي لم يعد

---

(١) انظر السابق ص ص ٦٩ ، ٧٠.

(٢) انظر نبيل علي (١٩٩٤): العرب وعصر المعلومات ، سلسلة عالم المعرفة : الكويت ص ٥٧.

(٣) انظر السابق ١٠٥ وانظر منصور الغامدي وزملاءه (٢٠٠٦) : "الترجمة عبر الشبكة العالمية :نظام حاسوبي مقترح للترجمة من وإلى العربية" ، مجلة جامعة الملك سعود، م ، اللغات والترجمة (ص ص ١-٢٦) .ص ٣.

(٤) ولا تزال بعض البحوث ترمي في هذا الاتجاه ، وبخاصة حرف الرسم القرآني ... انظر مثلا محمد زكي خضر (٢٠٠٦) "المعلوماتية في خدمة القرآن" pdf.

(٥) انظر نبيل علي (١٩٩٤) ١٠٥.

رسـم الحـرف في حد ذاته تحديا وبخاصـة في ظل الشفرات متعـددة اللغات وإنما سينتقـل التحدي بالضـرورة إلى الكلمة والجملة والسياق [1]، وهـو تحدٍّ من الدقة والعمـق بمكان، وهو يفاقـم الفجوة أمام الجهود العربية التي هـي معنية بالأساس بهـذه المهمة ولـو لأغراض اقتصادية بحتـة، فالعربية تحتل المرتبـة السادسة من حيـث وسائط التواصل والبرمجيات كما أنّ عدد مستخدميها على الإنترنت يتجاوز سبعين مليونا[2].

ومهما يكن الأمر فقد بذلت جهود تقنية مهمة عُرفت في حقل معالجة النصوص ، قد يكون من أهمها (Hyper text) وهو "الأسلوب الذي يتيح للقارئ وسائل علمية عديدة لتتبع مسارات العلاقات الداخلية بين ألفاظ النص وجمله وفقراته ويخلصه مـن قيـود خطية النص حيث يمكّنه من التفرّع مـن أيّ موضع داخله إلى أي موضع لاحـق أو سابـق، بل ويسمـح أيضا تكنيك النصـ الفائق للقارئ بـأن يمهر النص بملاحظاتـه و استخلاصاته، وأن يقـوم بفهرسة النصـ indexing وفقا لهواه بأن يربط بين عدة مواضع في النص ربما يراها مترادفة أو مترابطة تحت كلمة أو عدة كلمـات مفتاحية Keywords. إنّ تكنيك النص الفائق ينظر إلى النص لا كسلسلة متلاحقـة من الكلمات بل كشبكـة كثيفة من علاقات التداخل ، وهو ما دعا البعض إلى اعتبـاره نظاما للسيطـرة على حلقات الربـط Links Management System لا للسيطـرة على البيانـات data management systems كما هي الحال في نظم قواعد البيانات التقليدية data base systems"[3].

---

(١) انظر السابق ص ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) صالـح بلعيـد (٢٠١٤): النخبة الوطنية والمشاريع ، جامعة مولـود معمري تيزي وزو ،كلية الآداب واللغات ،قسم اللغة العربية وآدابها ، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر . ص ٤٥.

(٣) نبيـل علـي (١٩٩٤) ص ص ٢٨٢-٢٨٣ ، وانظر أيضا نبيل علي (٢٠٠١) : الثقافة العربية وعصـر المعلومات :رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربـي ، سلسلة عالم المعرفة : الكويت ص ص ٩٩، ١٠٠.

إن اللغة العربية تحتاج إلى بذل المزيد من الجهود في هذا الاتجاه ، وهي جهود لن تذهب سدى بل سيكون لها انعكاسات اقتصادية واستثمارية جيدة.

٣-٣ الترجمة الآلية :

عالميـا بدأ الاهتمام ببرامج الترجمة الآلية منذ وقت مبكر ، ولا ينسى المعنيون في هـذا الشأن التجارب المتعثرة التي حفت فترة (١٩٥٠-١٩٦٠) ، وهو تعثر ربما قاد إليه أن البرامج حينها لم تكن مهيَّأة بعد بالشكل الذي تستلزمه مثل هذه التطبيقات [١]، لكـن هذا الأمر تم تجـاوزه من خلال اعتماد مناهج علمية أكثر نجاعة كتحويل النصـ إلى شجـرة إعراب لكل جملـة معزّزة بمعلومـات دلالية يغذيهـا القاموس، وكالاعتماد على القواعد التحويلية[٢].

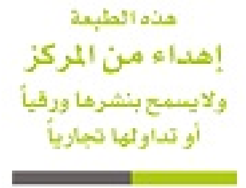
وفي ظـلّ الانفتاح المعلوماتي اليـوم لم تعد الترجمة خيارا بل هي اضطرار ملحّ تفرضه حاجة التواصل العلمي وتفرضه من وجه اقتصادي حاجة السوق والاستثمار، وعلى الرغم من كل الشكوك التي كانت (وربما لا تزال) تحفّ بالترجمة الآلية إلا أنهـا شقت طريقها بالفعل، وأثبتت نجاحها بنسـب متفاوتة، ويخضع تفاوتها لعدد مـن الاعتبارات يتعلق بعضها بثنائية اللغتين المترجـم إليها والمترجم منها ، ويتعلق بعضها بالحقل موضع النص المترجم .

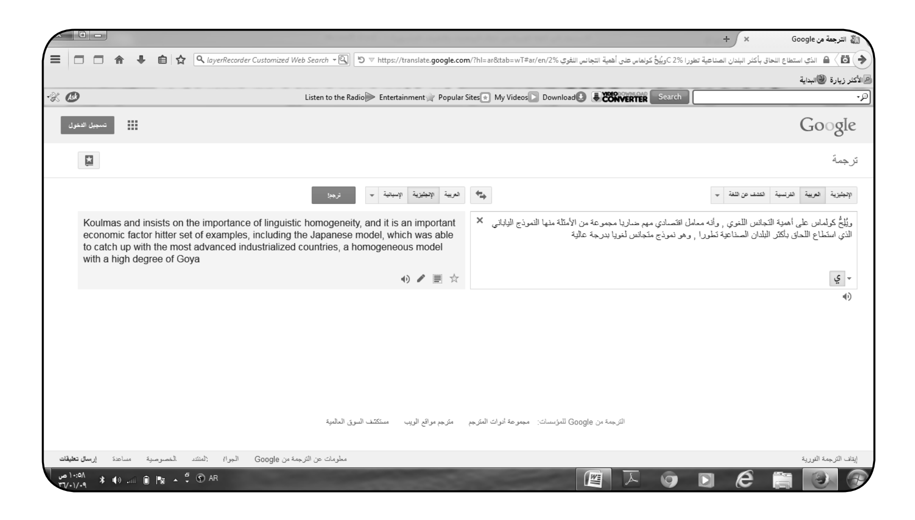
فـإذا ما نظرنـا شطر راهن اللغة العربية مع الترجمـة الآلية وجدنا أن الأمور ليسـت على ما يرام ، فما تـزال الترجمة الآلية متعثرة بشكل لافـت، وسنورد أدناه أمثلـة من أشهـر وسيط للترجمة الآليـة للنصـوص (Translate Google) ، حيث سنزود المترجم الآلي بجمل من اللغة العربية ونطلب ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية (كواحـدة من أشهر اللغات وأسهلها) ، ثم نعود لنزوده بجمل من اللغة الإنجليزية ونطلب منه ترجمتها إلى اللغة العربية:

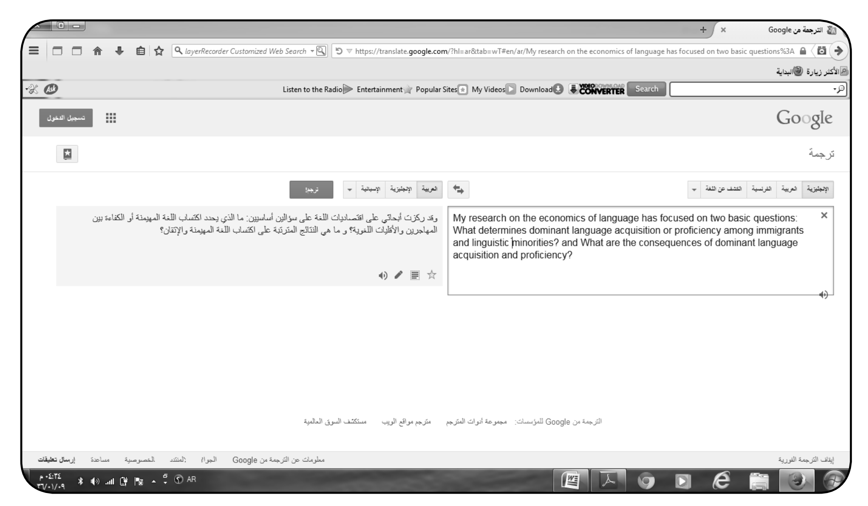
---

(١) انظر آلان بونيه ، ترجمة علي فرغلي (١٩٩٣) ص ٩٥ ، وانظر منصور الغامدي وزملاءه ص ٩ .

(٢) انظر السابقين ٩٥ و ٩ .







إنّ من حق العربية على أبنائها خدمتها في هذا الاتجاه وغيره فهي بخصائصها وجمالها لا تزال تجتذب غير العرب وغير المسلمين إليها ويندفعون إلى تعلمها بحب ورغبة [1]، ناهيك عن أبنائها المتحدثين بها أو بلهجاتها الذين يفوقون ٢٥٠

(١) انظر في هذا الصدد المقطع التالي: http://youtu.be/ya UYdiHs1Ag حيث يعبر عدد من الكوريين عن سعادتهم ودوافعهم لتعلم اللغة العربية.

مليونا[(١)] وفضلا عن المسلمين الذين يشعرون بالانتماء إليها والذين يربون على ١،٢ مليار مسلم [(٢)].

ويبـدو لي أنّ الترجمـة الآليـة واحدة من أهـم التطبيقات التـي ينبغي العمل علـى تحسينهـا؛ إذْ إنّ تطبيقاتها الحاليـة لا يبتعد عملها كثيرا عـن مقابلة حزمة مـن الكلمات بحزمـة أخرى من خلال التغذيـة المعجمية التقليديـة (وليس كما هو في تصـور آخر التطـورات التشومسكية فيما يعرف بالبرنامـج الأدنى minimalist program)) وهـذا يعني الحاجة إلى الاشتغال على المزيد من المحللات الصرفية (فهـي موجـودة) ، والعمل على تصميـم محللات نحوية ودلاليـة في الوقت الراهن ومحلـلات تداوليـة مستقبلا؛ لأنّ المحلـلات التداولية ستحتـاج إلى مسوح ميدانية نصية لتكوين الخلفية التي ستنبني عليها تلك المحللات.

٣-٤ تحسين مستوى الاتصال بين الإنسان والآلة :

تتجـاوز الطموحـات معالجة النصـوص الكتابيـة وتحليلها والترجمـة الآلية للنصـوص المكتوبة إلى تواصل مباشـر مع أنظمة الحاسب من خلال اللغة المنطوقة من خلال برمجيات تقوم بتحليل الإشارات الكلامية، ويبشر هذا الطموح بتطبيقات رائعة كالترجمـة الفورية للمحادثات والخطابات، وتحويـل الإشارات الكلامية إلى نصوص مكتوبة، وتحويل النصوص المكتوبة إلى إشارات كلامية، وقد بدأنا فعلا في التعامـل مع هذا النوع مـن التطبيقات من خلال أجهزة الرد الآلي وأجهزة التوجيه والإرشاد الملاحي وما إلى ذلك.

وليس بخـاف أن درجة الاعتماد على الآلة من خلال تلـك البرمجيات قد بدأ يتزايـد في الآونة الأخيرة من خلال تطبيقات متعددة ليس ابتداء بدمى الأطفال ولا انتهـاء بالروبوتات وتطويع الآلة للمفاهمة المباشـرة باللغة الطبيعية، وهي بالجملة صناعات ذات رواج وعنصر جذب تسويقي واستثماري ممتاز .

---

(١) انظر ندى غنيم، وأميمة الدكاك (٢٠٠٨) pdf ص ٣.

(٢) انظر السابق ص ٣.

٤-خاتمة :

تحدثـت هذه الدراسـة عن النمـو التقني اقتصاديـا كمدخـل اقتصادي إلى التقنيـة ومن ثم اللغة، وعرضت في عجالة لما يعـرف بنموذج (صولو) ،ومنه دلفت إلى تأكيـد فكرة أن اللغة رصيـد، ورأس مال، أو أداة إنتاج لافتـة النظر إلى أهمية التجانـس اللغـوي وأن العربيـة الفصيحة تحققه لكافـة الدول العربيـة اتكاء على الأبعاد المرشحة للتنمية اللغوية، ثم تناولت الدراسة المجالات الحوسبية والبرمجية التـي تتصل بجانـب الاستثمار في اللغة، وهي تصنيف المعاجـم العامة والخاصة، و برامج معالجة النصوص، و الترجمة الآلية، والذكاء الاصطناعي ....

ومما لاشك فيه أنّ حقل الحوسبة والبرمجيات المتعلقة بالتطبيقات اللغوية هو حقـل استثماري خصب، ومورد اقتصادي مهم لكنه معطل أوشبه معطل فيما يتعلق باللغـة العربيـة وتطبيقاتها، والعالم العربـي اليوم عليه أن يلتفـت بجدية إلى هذا الرافـد الاقتصادي، فسيكون يوما إن صحـت التوقعات عصب الاقتصادي العالمي. والمشروعـات الاستثماريـة التي تنحو هـذا المنحى هي في حاجـة إلى قدرة تمويلية عاليـة ، ومـن ثم عقد شـراكات اقتصادية بين القطاعين العـام والخاص للنهوض بهذه النوعية من الاستثمارات ومواكبـة الطموح الحوسبي والبرمجي والاقتصادي العالمي.

المراجع

١. أحمد ، كبداني سيدي (٢٠١٣)،
أثـر النمو الاقتصـادي على عدالة توزيـع الدخل في الجزائـر مقارنة بالدول العربيـة: دراسة تحليليـة وقياسية ، أطروحة دكتـوراه في العلوم الاقتصادية ، جامعـة أبـي بكر بلقايد – تلمسـان كلية العلوم الاقتصاديـة والعلوم التجارية والتسيير ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

٢. بلبول ، محمد (٢٠١٠)،
اللغـة العربيـة وقضايـا التخطيط والإصلاح ضمـن كتاب الهندسـة المعرفية والتدبـير الحاسوبـي في المصطلـح المولد ، إعـداد محمدغاليـم وعبدالرزاق تورابـي ، منشـورات معهـد الدراسـات والأبحـاث للتعريـب –جامعة محمد الخامس السويسي ،الرباط.

٣. بلعيد ، صالح (٢٠١٤)،
النخبـة الوطنيـة والمشاريع ، جامعـة مولود معمـري تيزي وزو ،كليـة الآداب واللغات ،قسم اللغة العربية وآدابها ، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر.

٤. بونيه ، آلان (١٩٩٣)،
الـذكاء الاصطناعـي ، ترجمة د.علي صـبري فرغلي ،سلسلة عـالم المعرفة : الكويت

٥. خضر ، محمد زكي (٢٠٠٦).
المعلوماتية في خدمة القرآن الكريم ، الجامعة العالمية الإسلامية – ماليزيا ppt

٦. دياب ، عبد العزيز أحمد و فاروق صالح الخطيب (٢٠١٥)،
دراسات متقدمة في النظرية الاقتصادية الجزئية ، خوارزم العلمية :السعودية.

٧. الزراعي والبارقي (٢٠١٣)،
" حوسبة المعجم النسقي " ،مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها ، ع١٠ (رجب ١٤٣٤-مايو٢٠١٣) ص ص ١١-٥٢.

٨. علي ، نبيل (٢٠٠١)،
الثقافة العربية وعصر المعلومات :رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي ، سلسلة عالم المعرفة : الكويت.

٩. علي ، نبيل (١٩٩٤)،
العرب وعصر المعلومات ، سلسلة عالم المعرفة : الكويت .

١٠. الغامدي ، منصور وزملاؤه (٢٠٠٦)،
"الترجمة عبر الشبكة العالمية :نظام حاسوبي مقترح للترجمة من وإلى العربية" ، مجلة جامعة الملك سعود، اللغات والترجمة ص ص ١-٢٦.

١١. غنيم ، ندى وأميمة الدكاك (٢٠٠٨)،
اللغة العربية والحاسوب pdf

١٢. الفاسي ، عبد القادر (٢٠١٣)،
السياسة اللغوية في البلاد العربية :بحثا عن بيئة طبيعية، عادلة، ديموقراطية، وناجعة، دار الكتاب الجديد: بيروت .

١٣. الفاسي ، عبدالقادر (١٩٩٧)،
المعجمة والتوسيط :نظرات جديدة في قضايا اللغة العربية ، المركز الثقافي العربي :الدار البيضاء/بيروت.

١٤. كولماس ، فلوريان (٢٠٠٠)،
اللغــة والاقتصــاد ، ترجمة د. أحمد عوضـ ، مراجعة عبدالســلام رضوان ،
سلسلة عالم المعرفة : الكويت.

1. Lipman. Barton(2002)
2. Language and Economics pdf.
3. Barry R. Chiswick(2008)
4. The Economics of Language : An Introduction and Overview .pdf. Jean-Louis Arcand and François Grin(?)
5. Language in economic development: Is English special and is linguistic fragmentation bad?pdf.
6. http://youtu.be/yaUYdiHs1Ag.-

الخاتمة

لعلّ من أبرز الأفكار، وأظهر النظرات التي تضمّنها هذا الكتاب :

- أنّ اللغة العربية حقلٌ ثريٌّ للاستثمار؛ فهي لغة قرابة نصف مليار، وهي من اللغات الرئيسة في العالم، وينظر إليها قرابة مليارين من المسلمين نظرة تقديس فهي لغة الدين، وبها نزل القرآن الكريم، وبها تحدّث خاتم المرسلين ﷺ، وهي فوق ذلك لغة الدول الغنية بالنفط، والتي توفّر فرص عمل لعدد كبير من الوافدين والمستثمرين.

- وعلى الرغم من كلّ تلك المعطيات إلا أنّ العرب لم يفطنوا حتى الآن إلى استثمار تلك الفرص بشكل جيد أو ربما فطنوا لكن لم يجِدّوا كما تفعل أممٌ أخرى لا تملك لغاتها تلك الفرص!

- وكما هو الاستثمار دوما فرص ومعوّقات؛ فالاستثمار في اللغة العربية يتمتّع بفرص كثيرة تقف أمامها معوّقات حقيقية داخلية وخارجية؛ وذلك كله يستدعي إرادة قوية، وروحًا جماعية، وخطوات عملية للتغلّب على تلك الصعوبات.

- من المجالات المهمّة حضاريًّا واقتصاديًّا، بل وحتى دينيًّا الاستثمار في تعليم العربية للناطقين بغيرها، وبخاصة من العمالة الوافدة لدول الخليج العربي، ويمكن أن يكون ذلك قبل مجيء الوافد إلى هذه الدول من خلال اشتراط درجة إتقان مناسبة للعربية، كما يمكن تصميم برامج تستهدف شرائح معينة من هذه العمالة بعد قدومها إلى دول الخليج لتطوير قدراتها في اللغة العربية، ولعلّ من أهمّ تلك الشرائح شريحة

المربّيات في المنازل لأنها الشريحة التي تتواصل بشكل مباشر مع أطفالنا في العالم العربي.

- لا بد من الوعي بأن علم المصطلح والتّرجمة هو قطاع لغوي يجب التدخل فيه لتأكيد وجود اللغة العربية، وأهمية استمرار تألقها التاريخي من خلال تحديثها وتطويرها.
- إنّ التّرجمة أداة لعصرنة اللّغة، وركيزة أساسية للانخراط في التكنولوجيا؛ لأن مستوى ما يترجم هو مؤشّر حقيقي على تطور اللّغة والمجتمع، ولذلك أصبحت ممارسة تجارية أساسية في قطاعات معرفية وخدماتية مختلفة، كالاستنساخ، والتسيير، واختراع المواقع الإلكترونية، والتواصل، والبث التلفزيوني، والسينما، والأدب.
- إنّ الاستثمار في اللغة العربية من خلال التّرجمة، مشروط بانتقال بالمجتمع العربي من مجتمع شفهي إلى مجتمع قارئ، فمؤسسات التّرجمة الحكومية والخاصة حتى وإن تمكنت من تمويل نفسها من المبيعات وتوفير مصادر المال إلا أن ذلك لا يمكن أن يكون فاعلا ما دام حجم القرّاء في الوطن العربي لا يكاد يذكر، قياسًا بفرد واحد في بعض البلدان الناجحة في مجال التّرجمة ومن هنا تأتي أهمية السياسة اللغويّة.
- ممّا لاشك فيه أنّ حقل الحوسبة والبرمجيات المتعلقة بالتطبيقات اللغوية هو حقل استثماري خصب، ومورد اقتصادي مهم لكنه معطّل أوشبه معطّل فيما يتعلق باللغة العربية وتطبيقاتها، والعالم العربي اليوم عليه أن يلتفت بجدية إلى هذا الرافد الاقتصادي، فسيكون يوما إن صحت التوقعات عصب الاقتصادي العالمي.
- إنّ المشروعات الاستثمارية التي تنحو منحى الاستثمار في حوسبة اللغة

في حاجة إلى قدرة تمويلية عالية، ومن ثم عقد شراكات اقتصادية بين القطاعين العام والخاص للنهوض بهذه النوعية من الاستثمارات، ومواكبة الطموح الحوسبي والبرمجي والاقتصادي العالمي.

- هنالك عدة مجالات حوسبية وبرمجية تتصل بجانب الاستثمار في اللغة، ومنها: تصنيف المعاجم العامة والخاصة، و برامج معالجة النصوص، و الترجمة الآلية، والذكاء الاصطناعي ....

وبعد هذا الصعود في مراقي التنظير، ومسالك الاقتراح، ومدارج الأفكار يأتي دور النزول إلى الميدان لتفعيل هذه المقترحات، وتبنّي تلك الأفكار، وتطبيق تلك النظرات.

وإنا لنرجو أن يكون ذلك إذا صلحت النية، وصدق العزم، وهما كذلك بإذن الله.

المحرّر

د.محمد بن يحيى أبوملحة

فهرس الموضوعات